القيم الأسرية الكليّة في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري

-دراسة وصفية تحليلية-

أعده

د. محمد بن نايف المطيري

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

عنوان البحث "القيم الأسرية الكليّة في كتاب الأدب المفرد–دراسة وصفية تحليلية"، ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، والمباحث، وخاتمة، وفهارس؛ فالمقدمة ذكرت فيها:

أهمية الموضـــوع، وأســـباب اختياره، وتســـاؤلات البحث، ومنهجه، وحدود الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث:

أما التمهيد فعرفت فيه بأبرز مصـطلحات الدراسـة: (القيم– الأسـرة–القيم الأسرية).

وفي المبحث الأول كان الحديث عن " اهتمام المحدثين بالقيم الأخلاقية"، وفيه مطلبان:

- فالمطلب الأول: صور من اشتغال المحدثين بالقيم، وفيه خارطة بمصطلحات القيم عندهم، وأنواع الكتابة الأخلاقية لديهم.
- والمطلب الثاني: في عناية الإمام البخاري بالقيم الأسرية في كتابه الأدب المفرد، وفيه عرفت بكتاب الأدب المفرد، ومنزلة القيم الأسرية فيه.

أما المبحث الثاني: فهو عن القيم الأســـرية الكليّة في كتاب الأدب المفرد، وفيه أربعة مطالب:

- المسؤولية، وتحتها قيم فرعية هي (الرعاية والتأديب، الحفظ، النفقة، التعليم، النظافة).

- العدل، وتحته قيم (العدل بين الأولاد، العدل بين الزوجات...).

- الإحسان، وتحته قيم (البر، والوفاء، حسن العشرة، الاحترام).

- الرحمة، وتحتها (الرفق، التقبيل والمزاح، وعمل الرجل في منزلة..).

ثم خاتمة البحث، وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات التي رأيتها بعد تمامه.

Abstract

Research Title: "Family Values in Al-adab al-mufrad - descriptive analytical study"

This study consists of an introduction, preface, two chapters, conclusion, and index.

The introduction stated these points, the significance of the study and its reasons, study inquiries and approach, topic boundaries, former studies, and study plan.

The preface introduced the fundamental terminology in this study: (values, family, family values).

The first chapter is about "Hadith Narrators attention to moral values" and it is divided into two quests:

1- Examples of Hadith narrators work on values and the types of ethical writing with a map of their principle's terms.

2- About Imam Al-Bukhari's attention to family values in his book Al-adab al-mufrad. On this quest a review of his book and the importance of family values in it.

The second chapter is about the total family values in Al-adab al-mufrad, it is divided into four quests:

1- Responsibility, and other subsection values: (care and disciplinary, preservation, providing, education, and hygiene).

2- Justice, and other subsection values (treating all children and wives with justice).

3- Benevolence, and other subsection values (benign, faithfulness, good marital manners, respect).

4- Mercy, and other subsection values (leniency, kissing, joking, housework for men).

The conclusion shows the most important results that have been achieved by this research.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

الإسلام هو دين القيم والأخلاق الفاضلة، والسنة النبوية زاخرة بهذه القيم الرفيعة؛ ومن أهم القيم التي يجب العناية بها ودراستها تلك القيم التي تتعلق بالأسرة؛ ذلك أن الأسرة هي النواة الأولى في المجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع، و القيم هي الأساس التي تضمن بقاء الأسرة في صورتها الصحيحة، أسرة تنعم بالحب، والتعاون، والتعليم، والتربية.

وجاء هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على هذه القيم في السنة النبوية ودراستها دراسة علمية مؤصلة، ووقع اختياري على كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى لاستخراج القيم الأسرية لأسباب عديدة، من أهمها:

١- أن كتاب: "الأدب المفرد" يشتمل على أحاديث زائدة عما في الصحيح، وفيه قليل من الموقوف، وهو كثير الفائدة"[1]، ويُعد موسوعة في الآداب والقيم في السنة النبوية، خصوصاً القيم الأسرية؛ لأنه قد بدأ بها في

(١) محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة ص (٥٣)، دار البشائر-بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.

كتابه، واستهله ببر الوالدين في (٢٤) باباً فقط في بر الوالدين، ثم ثنى بالأبناء والرحم..، والكتاب فيه أكثر من (١٣٢٢) حديثاً وأثراً.

٢- أن البخاري رحمه الله تعالى قد عرف بتفننه في التبويب، والإشارة فيها إلى دقائق العلم ومسائله حتى قيل: "فقه الإمام البخاري في تراجمه"؛ ففيها فوائد ظاهرة وخفيّة، وتناسب بين الأبواب سمته الإبداع والانتظام، ويمكن للناظر فيه أن يخرج بأصول القيم المتعلقة بالأسرة.

أهمية الموضوع:

- إبراز ما قرره الإسلام من قيم أخلاقية في مجال الأسرة؛ مستنداً على ما جاء في السنة النبوية، واستعانة بما قرره علماء الإسلام من أحكام حول هذه النصوص.
- استخراج أصول القيم الأسرية من كتاب " الأدب المفرد" ودراستها دراسة علمية مختصرة.
- التعرف على القيم الأسرية الفرعية التي تدخل تحت القيم الكليّة.
- المكانة العظيمة للإمام البخاري، ولكتابه الأدب المفرد، والرغبة في خدمة هذا الكتاب الفريد في بابه.

تساؤلات البحث:

يعنى هذا البحث بتحديد مفهوم القيم الأسرية الكليّة، وإبراز أنواعها في كتاب الأدب المفرد، وكذا القيم الفرعية التي تحتها، وبيان جهود علماء الحديث في الكتابة الأخلاقية، والإمام البخاري على وجه الخصوص.

١- ما مفهوم القيم الأسرية الكلية؟

٢- ما أنواع القيم الأسرية الكلية في كتاب الأدب المفرد؟

٣- ما القيم الأسرية الفرعية التي تندرج تحت القيم الكلية؟
٤- ما الجهود التي قام بها المحدثون في الكتابة الأخلاقية؟

منهج البحث:

بعد جمع المادة العلمية، أقوم بدراستها متبعاً المنهج الوصفي والتحليلي، وسأقوم بتطبيق قواعد البحث العلمي، حيث سأعني بما يلي:

- عزو الآيات إلى موضعها في المصحف، وتخريج الأحاديث من مصادرها المعتمدة، ونقل ما ذكره العلماء في الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.
- توثيق النصوص والشواهد من مصادرها ومراجعها المعتمدة.
- شرح الألفاظ الغريبة أو المصطلحات الواردة في ثنايا البحث بصورة موجزة.
- العناية بعلامات الترقيم.

حدود الموضوع:

تقتصر هذه الدراسة على استنباط القيم الأسرية الكلية الواردة في كتاب: (الأدب المفرد) للإمام البخاري.

الدراسات السابقة:

يتضح من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة أن هناك بعض الدراسات التي اهتمت بكتاب الأدب المفرد للإمام البخاري في مجالات مختلفة، لكن لا توجد دراسة مستقلة عن القيم الأسرية في كتاب الأدب المفرد.

ومن تلك الدراسات ما يلي:

١- مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية كتاب الأدب المفرد للإمام

البخاري، علي غي، ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم التربية الإسلامية، سنة ١٤٢٨هـ، وتهتم الدراسة بالتربية الاجتماعية، ولا تتعلق بتفاصيل القيم الأسرية الكلية التي أنوي دراستها.

٢- المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، رجاء بنت سيد علي بن صالح، مقالة علمية في المجلة التربوية الدولية المتخصصة سنة ٢٠١٦م.

ودرست المبادئ بشكل عام في جوانب متعددة: الجانب الروحي، والاجتماعي، والجانب الاقتصادي، وتعرضت لبعض قيم المجتمع بصورة مختصرة، ما أرمي دراسته تفاصيل القيم الأسرية كما جاءت في أحاديث كتاب الأدب المفرد.

ويتضح أن هذه البحوث لا تتعلق بالقيم الأسرية في كتاب الأدب المفرد بشكل مباشر، إنما هي بحوث في العموميات، ولا تقصد دراسة القيم الأسرية كما في هذه الدراسة.

تقسيم البحث:

مقدمة وتشمل:

- أهمية الموضوع.

- تساؤلات البحث.

- منهج البحث.

- حدود الموضوع.

- الدراسات السابقة.

- تقسيم الدراسة.

التمهيد

- أبرز مصطلحات الدراسة (القيم– الأسرة– القيم الأسرية الكليّة).

المبحث الأول: اهتمام المحدثين بالقيم الأخلاقية :

المطلب الأول: صور من اشتغال المحدثين بالقيم:

- خارطة لمصطلحات القيم عند المحدثين (مكارم– محاسن ومساوئ– فضائل–الآداب–شمائل–الأخلاق..).

– أنواع الكتابة الأخلاقية لدى المحدثين:

١– كتب مفردة في القيم والأخلاق.
٢–كتب في السنن جامعة، تتضمن كتباً في الأدب والأخلاق.
٣–كتب مفردة في خلق معيّن: مثل كتاب: "الحلم"، "التواضع" .
٤–كتب في أخلاق الراوي وآداب السامع بصفة خاصة.

المطلب الثاني: عناية الإمام البخاري بالقيم الأسرية في الأدب المفرد:

- التعريف بالأدب المفرد.
- منزلة القيم الأسرية في الأدب المفرد.

المبحث الثاني: القيم الأسرية الكليّة في كتاب الأدب المفرد:

المطلب الأول: المسؤولية:

(الرعاية والتأديب، الحفظ، النفقة ، التعليم، النظافة..).

المطلب الثاني: العدل:

(العدل بين الأولاد، العدل بين الزوجات..).

المطلب الثالث: الإحسان:

(البر مع الآباء والأبناء والأرحام، الوفاء، حسن العشرة، الاحترام.).

المطلب الرابع: الرحمة:

(الرفق، التقبيل والتكنية والمزاح، ، وعمل الرجل في منزله..).

- **الخاتمة.**

- **الفهارس.**

أبرز مصطلحات الدراسة

١- تعريف القيم لغة:

- القيم جمع قيمة، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموا فيما بينهم.

- وكذا إذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه(١).

- وماله قيمةٌ إذا لم يدم على شـــيء، واســتقام إذا اعتدل، وقومته: أي عدلته فهو قويم ومستقيم(٢).

- ويقال: قام فلان على شـــيء إذا ثبت عليه، ومنه قوله تعالى:﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾[آل عمران:١١٣]، أي مواظبة على التدين ثابتة(٣).

-والإقامة في المكان: الثبات، وإقامة الشـــيء: توفيّه حقه، وتقويم الشـــيء: تثقيفه، قال تعالى:﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾[التين:٤](٤).

ومما تقدم يتجلى لنا بأن مادة " قَوَمَ" اســتعملت في المعجم العربي بمعانٍ عدة منها:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١٢/٥٠٠).

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (٤/١٧٠).

(٣) ابن منظور، لسان العرب (١٢/٥٠٠).

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص (٦٩٠).

١- قيمة الشيء وثمنه.٢- الاستقامة والاعتدال٣- الثبات والدوام.

٤-نظام الأمر وعماده٥- توفية الشيء حقه(١).

ولعل أقرب هذه المعاني الواردة في القاموس العربي إلى موضـــوعنا هو معنى الثبات والدوام والاســتمرار على الشــيء، وهو الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويداوم على مراعاته في جميع شؤونه وأحواله.

القيم اصطلاحاً:

القيم كما يقول بعضــهم مصــطلح مراوغ ومثير للخصــومة الفكرية، فله تعريفات شـــتى متباينة، فكل عرفها من أرضـــيته الفكرية التي انطلق منها، فمعنى القيم لدى الاقتصـــاديين يختلف عنه عند علماء النفس أو في علم الاجتماع. ولكننا نحاول في هذا الموطن أن نقاربه أولاً في الفكر الغربي، فمن تلك التعريفات ما يلي:

١- في المعجم الفلســفي "القيمة: تطلق على ما يتميز به الشـــيء من صفاتٍ تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً أو قليلاً، فإن كان مستحقاً للتقدير بذاته، كالحق والجمال والخير كانت قيمته مطلقة، وإن كان مســتحقاً للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية، والوسائل التعليمية، كانت قيمته إضافية"(٢).

---

(١) الدكتور مانع المانع، القيم بين الإسلام والغرب ص (١٤-١٥)بتصرف يسير.

(٢) جميل صليبا (٢/٢١٣).

٢- الفيلسوف الأمريكي (بيري) يقول:

"إن كلمة القيمة تشير إلى تلك الناحية من الحياة الإنسانية التي تعودنا أن نستعمل لها الكلمات المباركة (المستحسنة)، وهي تشير أيضاً إلى دلالات أخرى، وتستعير المعنى البراق لصفات مثل: الخير، والحسن، والحق، والوجوب، وجدير، وجميل، ومقدس، وعادل، وأسماء مثل: السعادة، والرفاهية، والحضارة، وهي تشير إلى اسم مشترك لما تعنيه هذه الكلمات"(١).وصفوة القول بأن التعريفات للقيمة كثيرة، وآتية من حقول مختلفة، ولكنها تضفي على القيم معناها الحديث الذي يحمل بكل تأكيد بُعداً أخلاقياً.

القيم في المنظور الإسلامي (القيم الإسلامية)

إن مصطلح القيم في المعجم الغربي كما سبق نجد أصلها في المعنى الاقتصادي، وهي لا تستند إلى أساس ثابت في القيم، بل إلى نسبيتها وتاريخيتها، خاصةً في مستوى المالآت الواقعية لها، فضلاً عن انفصالها عن مصادر متعالية في التنظير؛ من جراء حصول التبدل مع تنامي الاستقلالية والفردانية في الغرب؛ لأن الالتزام لديهم لم يعد يأتي من الله، ولا من الدين، ولا من الدولة، ولا من المجتمع، بل من الفرد ذاته(٢).في حين أن القيم في

(١) رالف بارتن بيري، آفاق القيمة – دراسة نقدية للحضارة الإنسانية ص (١٦).

(٢) الدكتور عبد الرزاق بلعقروز، روح القيم وحرية المفاهيم ص (٢٠-٢١)، بتصرف يسير.

الرؤية الدينية الإسلامية تفارق هذا المنظور، وذلك بتركز مفهومها على ما هو إيجابي أكثر " فهي معنى خفي يجده الإنسان في قلبه ولا يدركه في حسه، لكن مع وجود هذا الخفاء، يبقى هذا المعنى هو الذي يهديه في حياته، ويرقى بإنسانيته، أو بصيغة أوجز، إن القيم هي عبارة عن معانٍ فطرية هادية وسامية"(١).صحيح بأن علماء الإسلام لم يتعرضوا لمصطلح القيم بشكل مستقل؛ ذلك أنه مصطلح من المصطلحات الغربية الوافدة، إلا أن الباحثين المحدثين قد ساهموا في وضع تعريفات للقيم بالاستناد إلى الرؤية الإسلامية، منها على سبيل المثال:

١- تعريف الدكتور حامد زهران في كتابه القيم " علم النفس الاجتماعي" وفيه يعرف القيم بقوله: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محدداً المرغوب فيه، والمرغوب عنه"(٢).

٢- وعرفها بعض الباحثين بقوله:" المبادئ والصفات الفضلى التي أقرها أو حث عليها الإسلام؛ لتكون أساساً في التعامل مع النفس ومع الغير، في مجالات الحياة الإنسانية كافة"(٣).

---

(١) سؤال العمل، طه عبد الرحمن ص (٢٠٩).

(٢) علم النفس الاجتماعي ص (١٣٢).

(٣) مقاصد الشريعة وعلاقتها بالقيم الأخلاقية ص (٢٠).

١- الأسرة لغة:

أصلها مأخوذ من كلمة: (أَسَرَ)، وتعني الشد والعصب، والأُسرة بالضم تعني الدرع الحصينة[١].وأسرة الرجل: أي عشيرته ورهطه الأدنون التي يتقوى بها؛ سموا بذلك لأنه يتقوى بهم[٢]، والأسرة: هي عشيرة الرجل وأهل بيته[٣].

٢-الأسرة اصطلاحاً:

تعددت عبارات الباحثين في مقاربتهم لمصطلح الأسرة، ومن هذه المقاربات من يقول بأن الأسرة " جماعة صغيرة تقوم على رابطة القرابة الدموية، وتضم في حالتها الطبيعية الأبوين وأطفالهما، فيعيش الجميع حياة مشتركة، ويكفل فيها بعضُهم بعضَهم الآخر، ويعاون القادر العاجز، حتى يمكنه من مواصلة الحياة"[٤].

وقاربها آخر بقوله:" الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب واستقرار المجتمع"[٥]، وعرفها على عبد الواحد وافي بأنها " الجماعة المعتبرة نواة

---

(١) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (٢٤٥٦/١).

(٢) المرجع السابق، (٢٤٥٦/١).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أسر).

(٤) أنطون رحمه، أثر الوالدين في تكوين الشخصية: دراسة موضوعية في سورية، ص (٦٩).

(٥) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع العائلي، ص (٤٣).

المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، وفي غالب الأحيان يتفرع عنها أولاد، وتظل ذات صـــلة بأصـــول الزوجين من أجداد وجدات، وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة"[١].

٣- القيم الأسرية الكليّة:

مما لا شـك فيه أن الإسـلام جاء بتشـريعات شـاملة ودقيقة في الحياة، تجلب المصـالح وتدفع المفاسـد عن الإنسـان، وقد حث الإسـلام على التمسـك بهذه التشريعات/القيم التي وردت في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المشرفة؛ لما تحققه من آثار عظيمة على الفرد والأسـرة والأمة، بل على النوع الإنسـاني بجميع أطيافه[٢].كما يجب أن نؤكد على أن القيم والأخلاق بشـــكل أولي هي كليّة، فالأخلاق بطبيعتها قضـــايا كلية، فكل خلق بمفرده أو مع غيره يمثل نمطاً في الســـلوك، ومنهجاً في الحياة، أي كل خلق هو قاعدة ســـلوكية كلية[٣].وقد سبق التعريف بالقيم والأسرة كلاً على حدة، ونصمد الآن لاستخراج المعنى المركب منهما، والذي يســـتند على مرجعية الوحي؛ فالمراد بالقيم الأسـرية الكليّة: "هي القيم المركزية الأسـرية الجامعة(الأم)، التي تندرج تحتها

---

(١) على عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع، ص (١٥).

(٢) انظر: نورا لليسذا بنت قاسم، القِيم اِلأسرية: أِهميتها وِواجب اِلإنسان نِحوها فِي ضِوء اِلقرآن اِلكريم ص (٧).

(٣) انظر: د. أحمد الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية ص (١٠٧)بتصرف يسير.

عدداً من القيم الفرعية"[1]، أو "هي أصـــول القيم التي ترجع إليها الطائفة العظمى من مفردات الأخلاق الأسـرية"، وهذا التصـنيف للقيم الأسـرية الكليّة جاء نتيجة تأمل دقيق في أحاديث الأدب المفرد؛ فاسـتخرجت منها القيم الكليّة والقيم الفرعية، وقد ترجع هذه المفردات القيمية الفرعية إلى أكثر من أصـل من هذه الأصول الكلية، أو إلى أصل واحد منها.

وقد يخالفني بعض الباحثين في هذا التصنيف؛ لتداخل الأخلاق وأصولها، وتشـابك بعضـها ببعض، وتفاوت مسـتويات النظر إليها[2]، ولا نعني بالقيم الفرعية أنها أقل من القيم الأصلية، وإنما نحاول التقريب والتصنيف؛ كي نساهم في زيادة حسن التصور للقيم الأسرية، وتبصير المسلم بالعلاقات المتناسقة التي تربط بين القيم الأسرية ومصادرها الأصلية، وفهم العلاقات الدقيقة بين القيم الأسرية بعضها مع بعضها، وندرك القيم الأهم والأولى، والقيم التي تأتي بعدها داخل المنظومة القيمية الأسرية.

(١) انظر: د.تسـنيم نور الدين المهيدات، نظرية القيم التعليمية في الفكر الإسـلامي، بتصرف يسير ص (١٢٢).

(٢) انظر: د.عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٥١٨/١).

المبحث الأول
اهتمام المحدثين بالقيم الأخلاقية

تمهيد:

الأخلاق أو القيم الأخلاقية-كانت ولازالت-موضع اهتمام علماء الإسلام على اختلاف اهتماماتهم؛ حيث إن المتأمل في كتاباتهم يجد الاهتمام الواسع بالأخلاق في فروع مختلفة من العلوم الإسلامية، ويتجلى ذلك في كتب الأدب والأدباء، كما في علوم التاريخ ورواة الأخبار. كما ظهر الاهتمام بالأخلاق كذلك في الكتب الموسوعية، التي تحوي موضوعات مختلفة في الأدب والسياسة والتاريخ، ويصلح مثالاً عليها كتاب " عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينوري(٢٧٦هـ)، وقد أفرد ابن قتيبة -رحمه الله- في كتابه قسماً كبيراً سماه " كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة"، فيه بعض المسائل الخلقية، كرجوع المتخلق إلى طبعه، وتشابه الناس في طبائعهم. كما أن الكتابات الأخلاقية التي كتبها علماء الحديث والتفسير والفقه كانت حاضرة من وقت مبكر في الحياة الثقافية الإسلامية، كما سنبيّن ذلك في جهود علماء الحديث في الكتابة الأخلاقية المتميزة[1].

(١) انظر:د. جمال نصار، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي ص(٧٥-٧٧) بتصرف يسير.

وعلى الرغم من توافر هذه الكتابات العظيمة في الأخلاق إلا أن هناك اتجاهاً بين المؤرخين والدارسين المحدثين- الذين تأثروا ببعض المستشرقين- يرون رأياً عجيباً، فيقولون:" ليس في الفكر الإسلامي مذاهب أخلاقية، معللين ذلك باستغناء المسلمين بتعاليم القرآن والحديث عن النظر في المسائل الأخلاقية فلم يشعروا بالحاجة إلى النظر الفلسفي في مشكلات الأخلاق، أما اتجاهات القرآن أو الحديث فتنأى عن النظر الفلسفي، فضلاً عن أن تكون مذهباً أخلاقياً ذا نسقٍ معين؛ إذ لا تعدوا طائفة لها قيمتها من المواعظ والحكم، ولم تأخذ الأخلاق في الإسلام حظها من البحث والدرس والكتابة العلمية إلا بعد الاتصال باليونان"(١)، ومن هؤلاء الكتاب المحدثين د.محمد عابد الجابري، الذي تابع فيه أحمد أمين؛ فقال في كتابه الأشهر "العقل الأخلاقي العربي": " يخلو الفكر العربي من أي فلسفة أخلاقية"(٢)، وقد تابع فيها-من قبله- أحمد أمين المستشرق "كارادي فو" في دائرة المعارف الإسلامية، وكذلك المستشرق " دي بور" في دراسته " الأخلاق والحياة الأخلاقية عند المسلمين"، كما أن أحمد أمين نفسه نصّ على اعتماده على الكتّاب الغربيين مباشرة فيما جمعه في كتاب " الأخلاق"، ولم أجد من أشار إلى هذه المسألة من قبل، فقد قال في كتابه الآخر" حياتي": " على كل حال بدأت أحضّر دروسي من الكتب العربية والإنجليزية معاً، فأعددت محاضرات عامة في تاريخ علم الأخلاق عند اليونان

(١) الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ص(١٤).

(٢) ص (٨).

والرومـان والعربفي العصـــور الحـديثـة اســـتقيـت أكثر موادهـا من الكتـب الإنجليزية"[1]!!ولن أطيل في قراءة هذه الفكرة ونقضـــها، وقضـــية خلو الثقافة الإسـلامية من فلسفة أخلاقية مجرد دعوى لا جدة فيها ولا إضـافة؛ لأنها دعوى من جنس تلك الدعاوى العريضـة التي سبق بها المستشرقون، بدأت بزعهم بأن القرآن ليس وحياً، وأن محمداً ' يعلمه بشر، وآخر يقول بأن التشريع الإسلامي لا أصـالة فيه، فهو منسـوخ عن الشـريعة اليهودية، بحكم مجاورة الإسـلام لهم في المدينة، وإن أحكام الفقه مأخوذة عن القانون الروماني، وإن الإسـلام يخلو من أي رؤية اقتصادية أو سياسية، بل لا يوجد فيه أي رؤية تربوية[2].ودعاوى الخلو هذه مصـبوغة بلون واحد؛ وهي أنها تخلص إلى نتائج متشـابهة دون أن تخضـــع أحكامها إلى إعمال المنهج العلمي، الذي يوجب التتبع والتقصـــي والاستقراء الكامل أو القريب منه؛ كي يسلم لهم بصحة هذا الحكم الكلي! وأكثر الردود وضـوحاً لهذه الفكرة الخاطئة القول بأن وجود الكتابات الأخلاقية الواسـعة في التراث الإسلامي تفند هذا الزعم، وقد توالت جهود الباحثين في محاولة جادة لبيان أصالة الأخلاق الإسلامية وتميزها، بل في وجود علم أخلاقي إسلامي من وقت مبكر[3].وســـنرى في جهود المحدثين وجود الكتابة الأخلاقية في التراث

(١) ص (١٢٣).

(٢) انظر: مصطفى بن حمزة، مقاربات في المسألة الأخلاقية ص (٧٢) بتصرف يسير.

(٣) الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، د.أحمد صبحي.

دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د.دراز.

الإسلامي، لها أصالتها وتفردها، وتعرضهم للمسائل الأخلاقية الدقيقة مثل: معرفتهم بأصول الأخلاق وفروعها، كما أنهم لمسوا كثيراً من المشكلات الأخلاقية، وأدركوا دور المعرفة والعلم كأساس يقوم عليه العمل، ونصوا نصاً صريحاً على أن الفضيلة تكمن في التوسط والاعتدال الذي جاء بها دينهم وأكد عليها، ولمسوا أيضاً دور النية في الحكم على الأعمال، وأدركوا دور المسؤولية في الالتزام الخلقي، وعرفوا المقياس الخلقي الذي يحدد من خلاله ما يحمد وما يذم من الأفعال(١).وإذا كنا نرى هذه المعرفة وآثارها في كتاباتهم، إلا أنهم لم يعبروا عنها تعبيراً صريحاً في كتب الصحاح والسنن، أو في الكتب المستقلة في الأخلاق، ولكن يمكن استنباطها ورؤيتها في طريقة اختيارهم للأحاديث، وإبداعهم في ترتيبها، وكذا دقتهم في صياغة الأبواب، ولم تكن هذه الصناعة إلا لإظهار المسائل الدقيقة التي تتعلق بالأخلاق، وآثارها الواسعة على الفرد والمجتمع، ثم قاربوا المسألة بصورة أوضح بعد ذلك بزمن قريب، في القرن الرابع تحديداً. وكان سبب التأخر في التطرق للمسائل الفكرة الأخلاقية والتفصيل فيها ‘إلى حدود القرن الرابع؛ أن الكتابة الأخلاقية المبكرة التي كانت حاضرة في النصف الثاني من القرن الثاني، كانت تصب اهتمامها على جمع الأحاديث التي تعرض للمثل الأخلاقية وتحث على الأخلاق، فهي تركز على

هل أرخ المسلمون لعلم أخلاقي إسلامي؟، د.أبو اليزيد العجمي وآخرين.

(١) انظر: د.عبد المقصود عبد الغني، الأخلاق بين فلاسفة اليونان وحكماء الإسلام ص (٢١٨-٢١٩).

الجانب العملي لا النظري[1].وقد بدأ اهتمام المحدثين بالأخلاق –مبكراً– بعد ظهور حركة التدوين والسماح بكتابة السنة أو جمعها في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ)، ومنذ ذلك التأريخ أخذ العلماء يكتبون الحديث ويجمعونه، من أمثال ابن شهاب الزهري(١٢٤هـ)، وابن جريج(١٥٥هـ)، وسفيان بن عيينة (١٩٨هـ)، ومالك بن أنس(٢٠٤هـ)، وغيرهم كثير[2].

المطلب الأول

صور من اشتغال المحدثين بالقيم

لقد كان اهتمام المحدثين بالأخلاق في مؤلفاتهم العديدة واضحاً؛ لعلمهم أن الأساس الذي يقوم عليه الدين هو الأخلاق، ولتقريب واقع هذا الاهتمام الواسع بالأخلاق عند المحدثين نقدمه في صورتين:

١- الصورة الأولى: خارطة لمصطلحات القيم عند المحدثين (مكارم- محاسن ومساوئ- فضائل-الآداب-شمائل-الأخلاق..).

فعندما نتأمل عناوين الكتب أو الأبواب التي وضعها المحدثون نجدها كثيرة وشديدة التنوع، وتحمل دلالات ذات فوائد متعددة، فبعض العناوين جاءت كجزء أو لفظة من حديثٍ نبوي شريف، فالكتب التي حملت عنوان " مكارم الأخلاق"، مثل كتاب ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) وغيره أخذت من الحديث

(١) المرجع السابق ص (٢٠٨-٢١٠) بتصرف يسير.

(٢) انظر: الإمام الذهبي، تذكرة الحفاظ (٢٦٣/١).

المشـهور " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]، وكذلك بقية العناوين اسـتندت في غالبها على أحاديث نبوية شـريفة، ونقف قليلاً في بيان معنى هذه العناوين، وما تحمل من دلالات!

١-مكارم الأخلاق:

ومثـال الكتـب التي حملـت هـذا الاســـم "مكـارم الأخلاق " لابن أبي الدنيا(٢٨١هـ)، ومكارم الأخلاق للطبراني (٣٦٠هـ)."فالمكارم جمع مكرُمة بضـــم الراء وهي من الكرم، قال الراغب: هو اســـم الأخلاق، وكذلك الأفعال المحمودة، قال ولا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه.. وكل فائق في بابه يقال له كريم"[2]، وقد نسـتفيد من المعنى اللغوي الذي ذكره الراغب الأصـفهاني بأن مكارم الأخلاق تحمل معنى الضـــيافة الروحية، فكريم الأخلاق قد يكون أكثر ضـــيافة من كريم المال؛ ولذا يقول النبي ﷺ:"إنكم لن تســـعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق"[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥١)، والحاكم (٦١٣/٢)، وقال صـحيح على شـرط مسـلم، ووافقه الذهبي.

(٢) فتح الباري (٤٧٢/١٠).

(٣) رواه البزار من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وحســـنه ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (٤٧٤/١٠).

٢- محاسن ومساوئ الأخلاق:

ومن هذه الكتب التي حملت هذا العنوان، كتاب "مساوئ الأخلاق ومذموها" للخرائطي (٣٢٧هـ)، و وقريب من معناها، كتاب " ذم الحسد" و " ذم الغضب" كلاهما لأبن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، وغيرها كثير. والحُسن كما قال الراغب: "هو عبارة عن كل مرغوب فيه إما من جهة العقل وإما من جهة العرض وإما من جهة الحسن، وأكثر ما يقال في كلام العامة فيما يدرك بالبصر، وأكثر ما جاء في الشرع فيما يدرك بالبصيرة"[١]، هذا في المحاسن، والمساوئ ضدها، ومثلها التقسيم المشهور الذي يضع أوصاف الإنسان الخلقية بين المحمودة والمذمومة[٢].

٣-فضائل:

ومنها كتاب" فضل الإخوان" لابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، و كتاب "فضل العلم" لأبي نعيم الأصفهاني(٤٤٣هـ).والفضائل جمع فضيلة، والفضيلة من حيث مدلولها اللغوي تعني الفضل والزيادة، قال في القاموس المحيط: "الفضل ضد النقص، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل"[٣].أما في الاصطلاح:

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٨٠).

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري (٤٧١/١٠).

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (٣١/٤).

فالفضيلة "اسم لما يحصل به ميزة على الغير، وهي اسم لما يتوصل به إلى السعادة، ويضادها الرذيلة"[1].

٤- الآداب:

ومن الكتب الحديثية التي تحمل عنوان الأدب، كتاب " الأدب المفرد" للإمام البخاري(٢٥٦هـ)، وكذلك كتاب " أدب النفوس" لأبي بكر الآجرّي (٣٦٠هـ)، وكتاب " الآداب" للإمام البيهقي(٤٥٨هـ).- والآداب جمع أدب، والأدب في اللغة الظرف وحسن التناول[2].وفي الاصطلاح: استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، و قال بعضهم: الأخذ بمكارم الأخلاق[3].

٥- الشمائل:

-وقد اهتم المحدثون بذكر شمائل النبي ﷺ في كتبهم، فلا يكاد يخلو ديوان من دواوين السنة النبوية عن الأحاديث المتعلقة بشمائله'، فهي مبثوثة في ثنايا بعضها، فمثلاً في صحيح البخاري في " كتاب اللباس"، وكتاب " الأدب"، وكتاب" الاستئذان"، وغيرها من كتب السنن. والطريقة الأخرى لاهتمام المحدثين بالشمائل هي التآليف المخصصة لها، ومثال ذلك كتاب" الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية" لأبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) رحمه

(١)الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص(١٣٢).

(٢)القاموس المحيط (٣٦/١).

(٣)انظر: ابن حجر، فتح الباري (٤١٤/١٠).

الله تعالى، وقد خُدم هذا الكتاب كثيراً، فوضعت عليه الشروح والمختصرات والترجمات العديدة، ومن كتب الشمائل كتاب " شمائل النبي ﷺ" للمستغفري(٤٣٢هـ).والشمائل جمع شِمال، والشمال: الخلق الذي أخذ به المرء نفسه من شرف الأدب حتى صار كالخليقة فيه، فالشمائل هي الطباع والخصال والأخلاق، ورجل كريم الشمائل، أي: في أخلاقه ومخالطته، وفي كلام العرب: فلانٌ مشمول الخلائق، أي: كريم الأخلاق، وهم يأخذون ذلك من الماء الذي هبّت عليه ريح الشمال فبردته؛ فصفا وطاب لشاربه[١].

أما الشمائل اصطلاحاً: فهي تطلق على الكتب التي اشتملت على الأحاديث والآثار المتعلقة بصفات النبيﷺ الخلْقية والخُلقية، ومختلف أحواله ﷺمنذ ولادته حتى وفاته، ولا تتعرض لكل فصول سيرته كما هو الحال في كتب المغازي والسير[٢].

٦- الأخلاق:

ومن الكتب التي وسمت بهذا العنوان، كتاب " أخلاق االنبيﷺوآدابه" لأبي الشيخ الأصبهاني(٣٦٩هـ).والأخلاق في اللغةتعني: السجية والطبع والمروءة والدين[٣].

---

(١)انظر: ابن منظور، لسان العرب (٢٣٣٢/٤)

(٢)انظر: الدكتور منصور يوسف، جهود العلماء في بيان الشمائل النبوية ص (٣).

(٣)مقاييس اللغة: (٢١٤/٢).

وأما الأخلاق اصطلاحاً:فقد نقل عن الأخلاقيين تعريفات كثيرة، ومتنوعة بتنوع المذاهب، من أشهرها تعريف ابن مسكويه والغزالي، فابن مسكويه يرى بأن الخلق:"حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"[1].

٢- الصورة الثانية: أنواع الكتابة الأخلاقية لدى المحدثين

سبقت الإشارة إلى اهتمام المحدثين بالكتابة الأخلاقية كما في الصورة الأولى، وعند تتبع كتب المحدثين وطرائق تآليفهم نرى صورة واضحة بأنها تنقسم إلى أقسام عديدة منها:

١- كتب مفردة في القيم والأخلاق: مثل كتاب: "الأدب المفرد" للإمام البخاري(٢٥٦هـ)، وكتاب: "مكارم الأخلاق" لأبن أبي الدنيا(٢٨١هـ)، وكذلك للطبراني(٣٦٠هـ).

٢- كتب في السنن جامعة: تتضمن كتباً في الأدب والأخلاق، مثل كتب دواوين السنة، فكتب الصحاح والسنن تتضمن كتباً في الأدب والأخلاق، ففي صحيح البخاري كتاب " الأدب" وفي صحيح مسلم (٢٦١هـ)" كتاب الآداب".

٣- كتب مفردة في خلق معيّن: مثل كتاب " الحلم"، " التواضع" لأبن أبي الدنيا وغيرها...

(١)تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص (٤١).

٤-كتب تتعلق بأخلاق الراوي وآداب السامع بصفة خاصة: ومن أبرزها كتاب: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع "للخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ)، وكتاب ابن عبد البر(ت: ٤٦٣هـ)، "جامع بيان العلم وفضله"[١].

المطلب الثاني
عناية الإمام البخاري بالقيم الأسرية في الأدب المفرد

١- التعريف بالأدب المفرد:

يعد كتاب الأدب المفرد من أهم كتب الأخلاق على الإطلاق، يقول عنه ابن حجر رحمه الله تعالى " وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما في الصحيح، وفيه قليل من الآثار الموقوفة، وهو كثير الفائدة"[٢].ويؤكد هذه المكانة العالية للأدب المفرد ما قاله المحدث العلامة عبدالرحمن المعلمي رحمه الله تعالى في التعريف بقدر هذا الكتاب:" ومن أبسط مجموعات كتب السنة في الأدب النبوي كتاب الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، والإمام البخاري كالشمس في رابعة النهار شهرة، وإلى مؤلفاته المنتهى في الجودة والصحة، وكتابه هذا- أعني الأدب المفرد- هو بعد كتابه الجامع الصحيح أولى كتبه بأن يعتني به من يريد اتباع السنة؛

(١) انظر: د.جمال نصار، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي ص(١٠٥-١٠٨).

(٢)فتح الباري (٤١٤/١٠).

فإنه جمع فأوعى، مع التحري والتوقي والتنبيه على الدقائق.."[١]، وبهذا البيان تتجلى لنا أهمية الأدب المفرد من جهة غزارة مادته، وكثرة ما فيه من الأحاديث والآثار الصحيحة، وقلة الضعيفة فيه[٢].

-وطريقته في تبويب الكتاب، فهو كما قيل: " فقه البخاري في تراجمه"[٣]، وسلك في تبويبه ذات الطريقة التي سلكها في صحيحه، فمن حيث الإجمال فتراجم الأبواب منقسمة إلى ظاهرةٍ وخفيّة، ويؤثر الخفي على الجلي[٤]، ومن حيث التفصيل فهي كما في الجامع الصحيح، ولكن مع بعض الفروق الصغيرة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- التراجم الظاهرة.

٢- التراجم الاستنباطية.

٣- التراجم المرسلة/ المطلقة، وهي التي يكتفي فيها البخاري بلفظة " باب" دون أن يكتب عنواناً لها[٥].

---

(١) من مقدمة" فضل الله الصمد" (١٧/١).

(٢) انظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد ص (٧).

(٣) هدي الساري ص (١٣)، د.حماد القباج، عبقرية البخاري ص (٥٣).

(٤) انظر: الشيخ عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي المكي، عادات البخاري في صحيحه ص (٧٣).

(٥) انظر: ياسر الشمالي، مناهج المحدثين ص (١٠١).

٢- منزلة القيم الأسرية في الأدب المفرد.

عندما نتأمل كتاب الأدب المفرد نجد بأنه كتاب موسوعي في الآداب الإسلامية، ويمكن أن نرى بأن اختياراته الأخلاقية كانت على أربعة أنواع من القيم:

١-الأخلاق الفردية.

٢-الأخلاق الأسرية.

٣-الأخلاق الاجتماعية.

٤-الأخلاق المتعلقة بالكائنات الأخرى[١].

كما أن الناظر في الكتاب يرى مظاهر عدة لاهتمام البخاري رحمه الله تعالى بالقيم الأسرية:١-منها أنه قدّم القيم الأسرية أولاً على غيرها من أنواع القيم؛ ليدلل على علو مكانتها، وكأنه يشير إلى أن الأسرة بمثابة النواة الأولى للمجتمع، فبدأ بأبواب البر بالوالدين، وصلة الرحم، والولد، إلى غيرها من الأبواب المتعلقة بالأسرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

٢- أن البخاري رحمه الله تعالى أدرك أهمية الأسرة، وأدرك بأن الإسلام قد اعتبرها عنصراً أساسياً في وصول الإنسان إلى منزلة السعادة؛ ومن هنا نرى كثرة الأحاديث الصحيحة في مجالها ، فقد أورد رحمه الله تعالى الأبواب

(١) انظر: د.جمال نصار، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي ص(١٠٨).

الأكثر فيما يتعلق بالأســـرة، فنجد بأن بر الوالدين قد تجاوز أكثر من (٢٥) باباً، وقريب منها في صـــلة الرحم، وكذا في الولد، وغيرها من الأبواب التي تتصل بالأسرة .

المبحث الثاني
القيم الأسرية الكليّة في كتاب الأدب المفرد

تمهيد:

ســبق أن ألمحت إلى صــعوبة الاتفاق على ســلّم قيمي واحد ســواء بين المتقدمين أو المتأخرين، وأن القيمة الواحدة قد تتنازعها جهات عديدة باعتبارات مختلفة، ولكن بالنســبة للقيم الأســرية وتقســيماتها القيمية الداخلية نرى الشــيخ الدكتور دراز على ســـبيل المثال يجعلها في أربعة واجبات:- واجبات نحو الأصـــول والفروع. - واجبـات نحو الأزواج. - واجبـات نحو الأقـارب.- الإرث[١].وهذا التقسيم جعله دراز رحمه الله تحت نوع الأخلاق العملية، ويتضح للمتأمل في هذا الســلّم القيمي أنه جاء على وجه الإجمال، ثم ذكر الشــيخ بعد ذلك تحت كل واجب عدة مسائل أو قيم فرعيّة، فتحت واجب الأصول والفروع جاء الإحســـان إلى الوالدين، واحترام حياة الأولاد، والتربية للأولاد وللأســـرة بعامة[٢]. وعلى الطريق ذاته قمت بمحاولة لوضـــع ســـلّم قيمي، يتعلق بالقيم

(١) انظر: د.محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن ص (٧١١-٧٢٢).

(٢) المصدر السابق ص (٧١١-٧١٢).

الأســـرية، وذلك بعد تأمل طويل لأبواب الكتاب، والأحاديث الواردة تحت كل باب، وتوخيت الدقة قدر طاقتي، وما وصل إليه اجتهادي؛ فخلصتُ إلى قسمة رباعيّة، هي: المسـؤولية – الإحسـان– العدل– الرحمة، وتحت كل قيمة من هذه القيم الكليّة الأربع قيم فرعية عديدة، ومنشأ هذه القسمة الرباعية أن أكثر القيم الواردة في الأحاديث تنضوي تحت القيم الكليّة، وكذلك أن البخاري رحمه الله تعالى أظهرها كثيراً في عناوين الأبواب، وفي الأحاديث المرصـــودة لها. ولن أطيل في شرح الشواهد والأحاديث، حتى لا يتضخم البحث، بل سأكتفي بعرض مجرد وبسيط لهذه الشواهد النصيّة، إلا في حالة الضرورة، مع العناية بتصنيفها منهجياً، تبعاً للتقسيم الذي اخترت سالفاً.

المطلب الأول

المسؤولية

المســؤولية في معناها الشـــامل تعني: إقرار المرء بما يصـــدر عنه من أفعال، واســـتعداده لتحمل نتائجها، إنها القدرة على أن يلزم الفرد نفســـه أولاً، والقدرة على أن يفي ذلك بالتزاماته بواسـطة جهوده الخاصـة، وبإرادته الحرة[1]. وتعد المسـؤولية قيمة رفيعة من القيم الأسـرية، بل هي من أصـولها، حيث تكشـف عن الجانب الإيجابي لدى الفرد، فالفرد الذي يشـعر بالمسـؤولية تجاه نفســه وأســرته ومجتمعه يدفعه هذا الشـــعور للقيام بواجباته والتزاماته نحوهم.

(١) انظر: د.محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ص(١٣٧).

والحياة الإنسانية تعد مجالاً للتحلي بالقيم والأخلاق الاجتماعية والأسرية من خلال المسؤولية؛ ولذا تندرج تحتها قيم أسرية فرعية عديدة، منها:

١- الرعاية والتأديب:

والرعاية من الرعي وهو: حفظ الشيء، وحسن التعهد له، والراعي: هو الحافظ المؤتمن، الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، فكلٌ من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه، ودنياه ومتعلقاته، فإن وفّى ماعليه من الرعاية؛ حصل له الحظ الأوفر، والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كلُّ أحدٍ من رعيته بحقه[١]ولما ننظر في تصرف الإمام البخاري في الأدب المفرد مع هذه القيمة "الرعاية"؛ نرى أنه قد كرر حديث: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[٢] في ثلاثة أبواب متتالية: باب العبد راعٍ، وباب الرجل راعٍ في أهله، باب المرأة راعية، ولهذا التصرف دلالة عميقة في استيفاء التفصيل في الرعاية الأسرية، فالرجل المفرد يدخل في وجوب الرعاية بحفظ جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً، وكذلك رعاية الرجل أهله بسياسة أمرهم وإيصالهم حقوقهم، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك وحفظه في غيبته، ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من

(١) انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري (١٩٠/٦) بتصرف يسير.

(٢) سبق تخريجه ص (٣٧).

خدمته[1].والتأديب من الأدب، وسبق أن فصلت في معناه في أول البحث، وقد ذكر البخاري رحمه الله فيما يتعلق بهذه القيمة ثلاثة أبواب: باب أدب الوالد وبره لولده، باب بر الأب لولده، باب: "أدب اليتيم"، والأحاديث في هذه الأبواب مختلفة، ليست كما في قيمة الرعاية. ففي الباب الأول ذكر حديث الوليد بن نمير بن أويس، أنه سمع أباه يقول: "كان يقولون: الصلاح من الله والتأديب من الآباء"[2]، وأورد في الباب الثاني رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "إنما سماهم الله أبراراً؛ لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق"[3].وفي الباب الثالث ذكر رواية عن شُميسة العتكية قالت: "ذكر أدب اليتيم عند عائشة رضي الله عنها فقالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط"[4]، يعني يمتد وينبطح على الأرض من أثر الضرب. وهذه المرويات الثلاث كلها في تربية الأولاد، أما في عموم أهل البيت، فقد أفرد له

---

(١)انظر: فتح الباري(١٣/١٢١) بتصرف يسير

(٢)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/٢٣١)، والمزي في تهذيب الكمال (٣١/١٠٢) وابن أبي الدنيا في العيال ص (٣٥٨)، وفي إسناده الوليد بن مسلم كثير التدليس ولم يصرح بالسماع، وقد أورده الألباني في ضعيف الأدب المفرد حديث رقم: (١٨).

(٣)أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/٥٢٠)، وابن أبي الدنيا في العيال ص (١٧٥)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/١٦٤)، وقال الهيثمي: وفيه عبيد الله بن الوليد وهو ضعيف.

(٤)أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٦٨٦)، والطبري في تهذيب الآثار (٦٩٤)، والبيهقي (٦/٢٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (١٠٥).

باب تعليق السوط في البيت، وأورد فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبيﷺأمر بتعليق السوط في البيت"[1]، وفي هذا الأمر بتعليق السوط بحيث يراه أهل البيت، مايرد عنهم سوء الأدب. والأهل كل من في البيت، من زوجة، وابن، وبنت، وعمة، وخالة، وأم؛ فكل من في البيت أهل. فالإنسان مسؤول عن أهله؛ مسؤولية رعاية وتأديب وتربية، حتى ولو كانوا صغاراً إذا كانوا مميزين، أما غير المميز فإنه يؤمر بما يتحمله عقله. وينبغي على الرجل أن يؤدب أولاده وأهله عن فعل الحرام أيضاً، كما يؤدبهم على فعل الواجب[2]والتأديب قصد به تهذيب الأخلاق وإصلاح العادات، وينهج الأب المسؤول كل الوسائل التي تساعده في تحقيق هذه الغاية[3].كما أن التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب؛ ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، وذلك لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على الشيء، تجعله منطبعاً به، ومن أغفل في الصغر، كان تأديبه في الكبر عزيزاً[4].

(١)أخرجه البزار (٢٠٧٧)، والطبراني في الكبير (١٠٦٦٩)، وعبدالرزاق (٢٠١٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٩٣٣).

(٢)انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢/٨٦-٨٧).

(٣)انظر: الجيلاني، فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد (١/١٧٨).

(٤) انظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين ص (٣٤٣).

٢- الحفظ:

نقيض النِّسْـــيان وهو التعاهُد وقلَّة الغفلة، و الحافِظُ و الحَفِيظُ الموكَّل بالشـــيء يَحْفَظه[١] .ويبين الإمام العز بن عبد الســلام معنى الحفظ بقوله: "هو ضـــبط الأشـــياء وحفظها.. والتخلق بـه بحفظ مـا أمرت بـه من الطـاعـات والأمانات"[٢].وإن كانت هذه القيمة قريبة في المعنى من الرعاية إلا أن فيها معنى العناية الفائقة بما تحت المرء مما يجب عليه أن يحفظه؛ ولذا خصـــها الإمام البخاري بأبواب متعددة لحفظ المســـكن / البيت، وعدم الســـماح لكل مايؤذي البيت ومن بداخله من الأســـرة، فوضـــع باباً بعنوان: "باب إطفاء المصـــباح"، وأورد فيه حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَسُـولَ اللَّه ﷺقَالَ: "أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا السِّـقَاءَ، وَأَكْفِئُوا الْإِنَاءَ، وَخَمِّرُوا الْإِنَاءَ، وَأَطْفِئُوا الْمِصْـبَاحَ؛ فَإِنَّ الشَّـيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلَقًا، وَلَا يَحُلُّ وكاء، ولا يكشـف غناء، وَإِنَّ الْفُوَيْسِـقَةَ تُضْـرِمُ عَلَى النَّاسِ بيتهم"[٣].وحديث ابن عباس رضـــي الله عنهما قال: جَاءَتْ فَأْرَةٌ فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الْفَتِيلَةَ، فَذَهَبَتِ الْجَارِيَةُ تَزْجُرُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: "دَعِيهَا"، فَجَاءَتْ بِهَا فَأَلْقَتْهَا عَلَى الْخُمْرَةِ الَّتِي كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهَا، فَاحْتَرَقَ منها مثل وضـــع دِرْهَمٍ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِﷺ: "إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُـرُجَكُمْ،

(١)لسان العرب (٢/٩٢٩).

(٢)شجرة المعارف (٤٥).

(٣)أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٦)، ومسلم (٢٠١٢).

فَإِنَّ الشَّـــيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا فتحرقكم"[1]، وحديث أبي ســـعيد الخدري رضـــي الله عنه المعنى ذاته الوارد في حديث ابن عباس رضـــي الله عنهما، ثم أعقبه بباب: "لا تترك النار في البيت حين ينامون"، وذكر فيه حديث ســـالم عن أبيه رضـــي الله عنه عن النبيﷺ: "لاَ تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون"[2]، ثم ذكر أثر ابن عمر رضـــي الله عنهما قال: قال عمر: "إن النار عدو فاحذروها"، فكان ابن عمر يتتبع نيران أهله ويطفئها قبل أن يبيت[3].وذكر حديثاً قريباً من أثر ابن عمر عن النبيﷺأنه قال: "لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حين تنامون؛ فإنها عدوّ"[4]، وختم بحديث قصة البيت الذي احترق على أهله في المدينة من الليل، فحدث النبي ﷺبذلك فقال: "إن النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم"[5].

(١)أخرجه أبو داود في الأدب (٥٢٤٧)، وابن حبان (٥٥١٩)، والحاكم (٢٤٨/٤)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢)أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٩٣)، وأخرجه مسلم في الأشربة (٢٠١٥).

(٣)أخرجه أحمد (٩٠/٢) رقم (٥٦٤١)، وصححه الألباني موقوفاً في صحيح الأدب المفرد رقم (٩٣٠).

(٤)أخرجه الحاكم (٢٨٤/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥)أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٩٤)، ومسلم في الأشربة (٢٠١٦).

وأعقب هذين البابين بباب " غلق البيت بالليل"، وأفرده بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالسَّمَرَ بَعْدَ هُدُوءِ اللَّيْلِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَا يَبُثُّ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ، غَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَكْفِئُوا الإِنَاءَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ"(١).وفي سياق الحفظ ذاته، جاء الحفظ بمنع الصبيان من الخروج من البيت وقت فورة العشاء(٢)، ووضع فيه باب: "ضم الصبيان عند فورة العشاء"، وأورد فيه حديث جابر الله عنه عن النبيﷺ: " كُفُوَا صِبْيَانَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ – أَوْ فَوْرَةُ – العشاء ساعة تهب الشياطين"(٣).وفي السياق نفسه يبيّن البخاري رحمه الله ضرورة الإنكار على أهل الباطل، بل وإخراجهم من البيت، ووضع في ذلك باب " الأدب وإخراج الذي يلعبون بالنرد وأهل الباطل" وصدّره بأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما "أنه كان إذا وجد أحداً من أهله يلعب بالنرد ضربه وكسرها"(٤)، ثم ذكر بعده أثر عائشة رضي الله عنها: "أنه بلغها أن أهل بيت في دارها، كانوا سكاناً فيها عندهم نرد، فأرسلت

(١)أخرجه مسلم في الأشربة (٢٠١٢).

(٢)فورة العشاء: عند العتمة، وذلك عند صلاة العشاء وبعدها شيئا. انظر: المخصص (٢/ ٣٨٨).

(٣)أخرجه البخاري في الأشربة (٥٦٢٣)، ومسلم في الأشربة(٢٠١٢).

(٤)أخرجه مالك في الموطأ (١٧٥٤)، وابن أبي شيبة (٢٦٥١)، والبيهقي في السنن(٢١٦/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٥٩٠)، وقال: إسناده صحيح موقوفاً.

إليهم: إن لم تخرجوها لأخرجنكم من داري، وأنكرت ذلك عليهم"[1].ومن الأبواب التي تؤكد هذا المعنى، معنى حفظ البيوت الأحاديث الكثيرة التي أوردها رحمه الله تعالى في أبواب الاستئذان وكيفيته، وأين يجلس إذا دخل؟ والعورات الثلاث والنهي عن فضول النظر في الدور، وهذه فيها خصوصية للبيت وأهله، وكذلك السلام عند الدخول إليه، والحرص على ذكر الله فيه على الدوام، ولم أسرد هذه الأحاديث خشية الإطالة، وأكثرها من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

وعند التأمل والنظر في هذه الأبواب التي خصّها الإمام البخاري بقيمة الحفظ، نجد أنها جاءت بالحفظ على نوعيه، أعني الحفظ المادي كأحاديث إطفاء النار والمصابيح، والحفظ المعنوي كالسلام والاستئذان ومنع المنكر في البيوت، ولشراح الحديث تعليقات دقيقة حول هذا المعنى في الأحاديث والأبواب التي ذكرت آنفاً؛ فيقول الطيبي رحمه الله في شرح المشكاة[2]:"فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة، جماعها تسمية الله تعالى في كل فعل وحركة وسكون لتحصيل السلامة عن الآفات الدنيوية والأخروية".وقال في الكواكب الدراري [3]:"فيه جمل من أنواع الآداب الجامعة لمصالح الدنيا والآخرة وخصص بالليل؛ لأن غسق الليل وقت ظهور الأشرار، وقد ضبط أحوالهم

(١)أخرجه مالك (٢٧٥٣)، ومن طريقه البيهقي في السنن(٢١٦/١٠)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفاً رقم (٩٦١).

(٢)شرح المشكاة (١٨٦/٨).

(٣)(١٦٦/٢٠).

مما يتعلق بالإنســـان من جلب المنافع من جهة الاتباع وهو كف الصـــبيان ونحوه، والمساكن وهو غلق الأبواب، والمشارب وهو إيكاء القرب، والمطاعم وهو تخمير الأواني، ومن دفع المضار وهو إطفاء المصابيح، أو ضبط دوافع الآفات فيما يتعلق بشياطين الجن فبكف الصبيان، وما يتعلق بشياطين الإنس فبالإغلاق، وما بالآفة الســـماوية فبإيكاء القربة وتخمير الآنية، وأما بالآفة الأرضية فبالإطفاء، وهذا كله على سبيل التمثيل والباقي يقاس عليه...".

٣- النفقة:

النفقة من الإنفاق، والمراد بها ســـائر المؤن -من كســـوة ومال ومســـكن وطعام وشراب ومتاع وعلاج- التي ينفقها الإنسان على من يعول من زوجة أو ولد أو والدين أو أقارب[١].

والنفقة من المسـؤولية التي جعلها الشـرع على المسـلم تجاه من هو تحت يده، ويحتاج إليه، وهي على ثلاثة مســـتويات، النفقة على الزوجة، النفقة على الولد والوالد، النفقة على الأقارب ، فعلى الزوج أن ينفق على زوجته بالمعروف من غير إســـراف ولا تقتير، وأن يقوم بكفايتها بكل ما تحتاج إليه بحسـب طاقته وقدرته المالية، مادامت الزوجة في عصـمته، والزوجة ملازمة للطاعة[٢]، وكذا الأمر مع الولد والوالد والأقارب، وفيها بعض التفاصـــيل مكانها كتب شـــروح الحديث والمدونات الفقهية. وقد عقد الإمام البخاري في

---

(١) انظر: بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين(١١٦/٣).

(٢)انظر: د. مفرح القوســي، حقوق الإنســان في مجال الأســرة من منظور إســلامي ص (٧١-٧٢).

كتابه عدة أبواب تتعلق بالنفقة على العيال، منها باب "نفقة الرجل على أهله"، وأورد فيه حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ دِينَارٍ أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟.."[1]، وأردفه بحديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبيﷺقال: "مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كانت له صدقة"[2]، ثم ذكر حديث جابر رضي الله عنه قال: "قال رجل يارسول الله! عندي دينار؟ قَالَ: "أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ"، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، فَقَالَ: " أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ – أَوْ قَالَ: عَلَى وَلَدِكَ "، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: "ضَعْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ أَخَسُّهَا"[3].وختم الباب بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ قال: "أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ: دِينَارًا أَعْطَيْتَهُ مِسْكِينًا، وَدِينَارًا أَعْطَيْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارًا أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَفْضَلُهَا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ"[4].وبعد هذا الباب جاء باب: "يؤجر في كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى في امرأته"، وأورد تحته حديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لسعد: "إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها

(١)أخرجه مسلم في الزكاة (٩٩٤).

(٢)أخرجه البخاري في الإيمان (٥٥)، ومسلم في زكاة (١٠٠٢).

(٣)أخرجه البخاري في الأدب (٧٥٠)، وذكره الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٥٧٧)، وقال: صحيح لغيره.

(٤)أخرجه مسلم في الزكاة (٩٩٥).

وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك"[١].وفي موطن سابق من الأدب المفرد ذكر باب "نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقه"، وفيه أربعة أحاديث تؤكد ذات المعنى بأن الإنسان يبدأ بمن يعول، ووجوب النفقة على الأهل. ويتبيّن لنا من الأحاديث أنها كلها تحث على فضيلة الإنفاق على الأهل، وأنه أفضل من الإنفاق في سبيل الله، وأفضل من الإنفاق في الرقاب، وأفضل من الإنفاق على المساكين؛ وذلك لأن الأهل ممن ألزمك الله بهم، وأوجب عليك نفقتهم، فالإنفاق عليهم فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية، والواجب على المسلم أن يبدأ بما هو محتم عليه[٢].

٤- التعليم:

المفهوم الغالب في الإسلام بأن العلم إذا أطلق فيراد به العلم الشرعي، وهو أسمى العلوم وأرفعها شأناً، وهو الذي تواترت في الثناء عليه النصوص الشرعية، وتعليم العلم رسالة مقدسة، ووظيفة رفيعة، وهي وسيلة الأنبياء والمصلحين[٣]. وتعليم الأهل من مسؤولية المسلم المكلف برعاية رعيته الصغيرة/ الأسرة؛ ولذا كان من فقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى أنه لما وضع باب " الرجل راعٍ في أهله" ساق تحته حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺوَنَحْنُ شَبِيبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺرَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلِينَا، أَوِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّا

(١)أخرجه البخاري في الإيمان (٥٦)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨).

(٢)انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(٢/٨٢-٨٣).

(٣) انظر: الشيخ ابن عثيمين، كتاب العلم ص(١٣-١٤).

تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَاهُ، فَقَالُ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ»، وَصَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَـــلِّي، فَإِذَا حَضَـــرَتِ الصَّـــلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"(١).وفي هذا الحديث أمر النبيﷺمالك بن الحويرث وأصـحابه الذين معه بـأن يرجعوا إلى أهليهم وأن يبـدأوا بتعليمهم وأمرهم بمـا تعلموا من النبي ﷺ، ومنها تعليمهم الصلاة كما صلاها النبي ﷺ ؛ ولذا أخذ صاحب كتاب فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد من لفظة: "ارجعوا إلى أهليكم.." هذا المعنى الذي أشـار إليه البخاري رحمه الله تعالى بحسـن تصـرفه؛ فقال" ارجعوا إلى أهليكم"؛ لأن عهدة تعليم الأهل على الرجل، فإذا رجع إلى الأهل للتعليم فحظ يوافق حقاً"(٢)، وأيضـاً يقول ابن بطال في شـرح صـحيح البخاري تحت هذا الحديث: "فيـه من الفقـه: أن من علم علمًا يلزمـه تبليغـه لمن لا يعلمـه، وهو اليوم من فروض الكفاية، لظهور الإسـلام وانتشـاره، وأما فى أول الإسـلام فكان فرضًـا معينًا على كل من علم علما أن يبلغه، حتى يكمل الإسلام ويظهر على جميع الأديان، ويبلغ مشـــارق الأرض ومغاربها، كما أنذر به أمته ﷺ، فلزم العلماء فى بدء الإســـلام من فرض التبليغ فوق ما يلزمهم اليوم. وفيه: أنه يلزم المؤمن تعليم أهلـه الإيمـان، والفرائض لعموم قولـهﷺ: تمـت وأخبروا بـه من وراءكم –، ولقولـه تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[التحريم: ٦]؛ ولأن الرجل راع على أهله ومسئول"(٣).

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٠٨).

(٢) فضل الله الصمد (٣٠٤/١).

(٣) شرح صحيح البخاري (١٦٧/١).

٥- النظافة:

مفهوم النظافة في الإســـلام "هي الطهارة من الحدث والجنابة، والأمور الأخرى المتصلة به، خِلقةً كالظفر والشعر، أو لا خلقةً كالوسخ والدرن "[١].وقد دعت نصوص الإسلام إلى النظافة في مواضع كثيرة، من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن المؤكد بأنَّ مفهوم النظافة في الإسلام لا يقتصر الحديث فيه عن النظافة في الجسـد، بل يشـمل نظافة الروح وتطهيرها، ونظافة البيئة المحيطة بنا، وقد اتخذ الإســـلام وســـائلَ كثيرة للحفاظ على النظافة عند المسـلمين، فشـرع الوضـوء والغسـل، وطهارة المكان الذي يُصـلى فيه، وكذا الالتزام والمحافظة على سـنن الفطرة، وهي الخصـال التي تُعنى بنظافة المسلم الشخصية، وهي أكثر من أن تحصى، منها السواك وتقليم الأظافر وغيرها[٢].

ومن أهم الأماكن التي يجب العناية بها ونظافتها الدائمة: بيت الأســـرة؛ فيجب على صـاحب المسـكن أن يحرص على حث أهله على الاهتمام بنظافته وتطيبه، وهي من المســـؤولية والرعاية المكلف بها الرجل والمرأة معاً. وعندما نتأمل في كتاب الأدب المفرد؛ نجد أن الإمام البخاري من ســلامة فهمه ودقته أنه أورد الحديث الذي يتعلق بالنظافة تحت باب الرعاية، بل الحديث نفسـه هو في الرعاية على وجه الخصـوص، فقد وضـع باب " المرأة راعية" و سـاق تحته

---

(١)مكارم الأخلاق للنسفي ص (١٤٥).

(٢) انظر :د.هند شريفي، القيم والأخلاق في المجال الاقتصـادي والصـحي والبيئي، ضـمن كتاب القيم والأخلاق في الإسلام ص(٢٤١-٢٤٢).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺيقول: " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"[1]، وفيه "والمرأة راعية في بيت زوجها"، وفي فتح الباري يبيّن ابن حجر أن رعاية المرأة تدبير البيت والأولاد والخدم، ومن التدبير العناية بنظافة البيت وصيانته من الأذى[2]، بل إن الإمام البخاري قد وضع باباً مستقلاً بالنظافة، وعبر عنه بلفظٍ قرآني دقيق، وهو الإصلاح، فقال: باب: "إصلاح المنازل"، وأورد تحته أثراً فيه أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يقول على المنبر: يا أيها النّاس! أصلحوا عليكم مثاويكم، وأخيفوا هذه الجنّان قبل أن تخيفكم؛ فإنه لن يبدو لكم مسلموها، وإنا والله ما سالمناهنّ منذ عاديناهن"[3]، ويقصد بالمثاوي المنازل، والجنان الحيّات الصغيرة. ودلّ الحديث أن إهمال البيوت قد يدخل عليها الأذى؛ ولذا أمر عمر رضي الله عنه بإصلاحها، والإصلاح هنا قد يشمل الإصلاح الحسي بالنظافة، والإصلاح المعنوي بالذكر. وكذلك وضع الإمام البخاري رحمه الله في آخر الأدب المفرد باباً بعنوان باب: "حلق الجارية والمرأة زوجها"، وذكر تحته أثراً عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "النورة ترق الجلد"[4] عندما دخل عليه بعض أصحابه،

---

(١) سبق تخريجه ص (٣٧).

(٢)انظر: ابن حجر، فتح الباري(١٣/١٢١).

(٣)أخرجه عبد الرزاق(٩٢٥٠)، وابن أبي شيبة (٢٦٣٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٤٧).

(٤)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٣٠٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/١): ورجاله موثقون.

ورأى جاريته تحلق عنه الشعر، وهذا فيه دلالة على اعتناء الصحابة رضي الله عنهم بنظافة أجسادهم، واستعمال ما يناسب صحتها ونظافتها.

المطلب الثاني
العدل

خلاف الجور وهو ما قام في النّفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر استعمال الصّفات، فيقال: رجل عدل، والعدل من النّاس المرضيّ المستقيم الطّريقة[1].والعدل يكون في القول والفعل، والمقسط هو العادل في قوله وفعله[2].ولما ننظر في الأدب للإمام البخاري رحمه الله؛ نجده فيما يتعلق بقيمة العدل من القيم الأسرية قد عقد أبواباً تغطي مجالات العدل فيها؛ وهي كما يلي:

١- العدل بين الأولاد:

فالإسلام يوجب العدل والتسوية بين الأولاد في النفقة والهبة والعطية، بل يأمر بالعدل بينهم في التربية والبشر، وغير ذلك مما يملكه الإنسان، وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى أحاديث كثيرة في هذه القيمة، قيمة العدل بين الأولاد، ومن ذلك أنه لما وضع باب " أدب الوالد وبره بولده" ساق تحته حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: "أَنَّ أَبَاهُ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺيَحْمِلُهُ

(١)انظر: ابن منظور، لسان العرب (٢٨٣٨/٥).

(٢)انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (٤٢٥/٣).

فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنِّي أُشْـهِدُكَ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَأَشْهِدْ غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلاَ إِذًا.."[1].كما أنه قد ضع باباً آخر بعنوان باب " الوالدات رحيمات"، وأورد فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل صبي لها تمرة وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما فعمدت إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي ﷺفأخبرته عائشة فقال: "وما يعجبك من ذلك لقد رحمها الله برحمتها صبييها"[2].يعلق القاضي عياض على حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه تعالى بقوله: "وتسميته جورًا على هذا بمعنى أنه عدول عن الأول من التسوية، أىإنى لا أشهد ولا يعقد بين يدى إلا الأتم فى العدل والأكمل فى الصلاح فأشهد غيرى"[3]، كما إن ابن القيم رحمه الله يرى في ألفاظ حديث النعمان بن بنشير لفظ ورد في السنن قولهﷺ: "اعدلوا بين أولادكم"؛ ما يدل على الوجوب لا الاستحباب. ويوسع ابن القيم رحمه الله معنى العدل بين الأولاد، فهو ليس في

(١)أخرجه البخاري في الهبة (٢٥٨٦)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣).

(٢)أخرجه الحاكم (١٧٧/٤)، قال الحاكم: هذه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجها ووافقه الذهبي، ومن رواية عائشة الحديث في البخاري في الزكاة (١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٩).

(٣)إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم للقاضي عياض(١٨٢/٥).

العطاء والنفقة والبشر فحسب، بل يتعدى إلى الصلة، ونقل هذا عن السلف "بأنهم كانوا يستحبون العدل بين الأولاد في الصلة"(١)، ووجب العدل بينهم؛ لأن انتظام المعاش والمعاد إنما يدار مع العدل، والتفاضل بينهم يجر إلى الشحناء والتباغض، ومحبة بعضهم له وبغض بعضهم إياه، وينشأ عن ذلك العقوق ومنع الحقوق(٢).

٢- العدل بين الزوجات:

وهذا مجال آخر، وقيمة من قيم العدل الفرعيّة، وهي العدل بين الزوجات؛ فيجب أن يعامل الرجل زوجاته بالعدل – إن كان متزوجاً بأكثر من واحدة–في كل شيء، في المبيت والنفقة والمسكن وفي حسن التعامل، إلا ميل القلب فهو لا قدرة له عليه؛ لأنه لا يملكه.وقد وضع الإمام البخاري رحمه الله تعالى باباً بعنوان باب " من انتصر مِن ظلمه "، وساق تحته حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: "أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺفَاطِمَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفاستأذنت والنبيﷺ مَعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي مِرْطِهَا، فَأَذِنَ لَهَا فَدَخَلَتْ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي، يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ! أَتُحِبِّينَ مَا أحبُّ، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: " فَأَحِبِّي هَذِهِ " فَقَامَتْ، فَخَرَجَتْ فَحَدَّثَتْهُمْ، فَقُلْنَ: مَا أَغْنَيْتِ عَنَّا شَيْئًا فَارْجِعِي إليه.."(٣)، وفي شرح الحديث قال في كتاب " فضل الله

(١)انظر: ابن القيم، تحفة المودود ص (١٩٢).

(٢)انظر: المناوي، فيض القدير (٧١١/١).

(٣)أخرجه البخاري في الهبة (٢٥٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٢).

الصمد في توضيح الأدب المفرد": "يسألنك" وفي لفظ النسائي: "ينشدنك" أي التسوية بينهن في محبة القلب، وكانﷺيسوي بينهن في المبيت ونحوه مما في اختياره؛ لأن الرجل ليس عليه العدل في إيتاء بعض نسائه بالتحف من المآكل، وإنما يلزمه العدل في المبيت وإقامة النفقة والكسوة، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن"[1].

المطلب الثالث

الإحسان.

الإحسان هو فعل الشيء الحسن، سواء كان المأمور به إحساناً إلى الناس، أو إحساناً إلى النفس[2]، وللإحسان في الإسلام مكانة رفيعة، فهو قيمة من أجل القيم الإنسانية؛ فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل قول، ويتسع مداه ليسع محيط الحياة كلها. ومن تأمل نصوص الشريعة في الإحسان يتّضح بجلاء أنّ الإحسان يشكّل مع العدل- جوهر العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأنّ دائرة هذا الإحسان تتّسع لتشمل النّفس والأسرة والأقارب ثمّ المجتمع والإنسانيّة عامّة[3].

---

(١)فضل الله الصمد (١/٥٥٠).

(٢) انظر: محمد إبراهيم التويجري، فقه القلوب(١/٧٧١)،

(٣)انظر: جماعة من الباحثين، نضرة النعيم (٢/٧٣).

ويدخل في هذه الدائرة الكبيرة مجموعة من القيم الفرعيّة الأسـرية، والتي ظهرت في كتاب الأدب المفرد وتبويباته بشكل واضح، ومن تلك القيم ما يلي:

١- البر:

يعد البر من أبرز القيم والأخلاق الأسـرية، وقد عرّفه النبيﷺبقوله: "البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"(١).وهو من القيم الأسـاسـية لتحقيق السـعادة في المجتمع والأسـرة، والبر يكون بمعنى الصـلة، واللطف والمبرّة، وحسـن الصـحبة والعشـرة، ويكون بمعنى الطاعة، وهذه كلها هي مجامع حسـن الخلق(٢).وقد قدم الإمام البخاري قيمة البر في كتابه، ورصـد لها أبواب كثيرة، تقارب (٥٤) باباً كلها في البر، وهي على ثلاثةِ مستويات "بر الوالدين، وبر الأبناء، وبر يتعلق بالأرحام وذوي القربى":

١- فبرُّ الوالدين: يعني على وجه الإجمال: الإحسـان إليهما بالقول، والفعل، والمال على قدر المستطاع، وضد ذلك العقوق(٣)، و برهمامن أعظم أنواع البر، بل هو أعظمها، ومن خصـال برهما طاعة أمرهما، واحترامهما واحترام رأيهما، والأخذ بنصيحتهما في غير معصية، ومن خصال البر بهما خفض الجناح لهما، ورعاية مصـالحهما، ومجانبة رفع الصـوت عليهما،

(١)أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٣).

(٢)انظر: الإمام النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (١١١/١٦)

(٣)انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٩٥/٢).

والتأفف والتضجر منهما مهما طال زمانهما. ومن خصال البر أيضاً خدمتهما، وإحسان صحبتهما حتى يصل الابن إلى رضاهما حتى لو كانا مشركين، ومن البر ما يكون بعد وفاتهما، وصلة أصحابهما في حياتهما. وكل ما ذكرت من خصـــال البر نصّ عليها الإمام البخاري في أبواب الأدب المفرد فيما يقارب (٢٤) باباً في بر الوالدين، ورتب الأبواب على طريقة القرآن الكريم، وبدأ بالآية الكريمة، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، فقدم بر الأم، ثم الأب، ثم الأقرب فالأقرب، ولما ذكر منزلة بر الوالدين في الباب الأول، أعقبه بباب: "بر الأم"، ثم باب: "بر الأب"، ثم بيّن بأن البّر للوالدين يجب أن يظل حتى مع ظلمهما، فخصّـــه بباب: "بر الوالدين حتى مع ظلمهما". ثم بدأ البخاري رحمه الله بسرد تفاصيل برهما من ناحيتي الأمر والنهي أو ناحيتي الفضـــل والجزاء بأبواب عدة: منها باب: "لين الكلام لوالديه"، باب: "جزاء الوالدين"، باب: "عقوق الوالدين"، باب: "لعن الله من لعن والديه"، باب: "يبر والديه مالم يكن معصـية"، باب: "من أدرك والديه فلم يدخل الجنة"، باب: "باب من برا والده زاد الله في عمره"، باب: "لا يستغفر لوالده المشرك"، باب: "بر الوالد المشرك"، باب: "لا يسب والديه"، باب عقوبة عقوق الوالدين"، باب: "بكاء الوالدين"، باب: "دعوة الوالدين"، باب: "عرض الإسلام على الأم النصرانية"، باب: "بر الوالدين بعد موتهما"، باب: "من بر من كان يصل أبوه".. إلى باب: "هل يكني أباه"، وساق تحت كلِ باب حديث، وتحت بعضـــها حديثين أو ثلاثة، ولم أذكر الأحاديث؛ كي لا أثقل البحث؛ ولأن صياغة البخاري للأبواب كانت كاشفة عن فحوى الأحاديث والآثار التي

تحتها، وسردت هذه الأبواب لندرك من مضامينها سعة السنة النبوية وشموليتها المتناهية في جميع الجزئيات التي تتعلق بالقيمة الواحدة كقيمة بر الوالدين، وحسن صنيع الإمام البخاري في طريقة عرضه للأبواب وأسلوبه العلمي الدقيق في صياغة ألفاظ الباب.

٢- برُّ الأبناء: وليس المراد بالأبناء هنا الأولاد فحسب، بل يقصد به عموم الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً، وإنما أطلق اللفظ عليهم هذا اللفظ من باب التغليب. وبر الأبناء هو الإحسان إليهم بالتربية والتأديب والتعليم، والنفقة عليهم، والعدل بينهم في الهبة والعطية، والرحمة والرفق بهم، و قد رصد الإمام البخاري رحمه الله تعالى لبيان هذه القيمة أبواب عديدة، من أهمها باب: "أدب الوالد وبره لولده"، وباب: "باب بر الأب لولده"، وساق تحتهما أثر نُمير بن أوس أنه سمع النبي ﷺ يقول: "كانوا يقولون: الصلاح من الله، والأدب من الآباء"[١]، وأثر ابن عمر رضي الله عنهما قال: سماهم الله أبراراً؛ لأنهم بروا الآباء والأبناء.."[٢]، وقد مضى معنا في قيمة التأديب التعليق عليهما بما يغني عن إعادته.

٣- برُّ الأرحام: والأرحام عند الإطلاق هم الأقارب عموماً، يقول القرطبي:" الرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين الرحم وغيره"[٣].والمقصور

(١) سبق تخريجه ص (٣٩)

(٢) سبق تخريجه ص (٣٩)

(٣)الجامع لأحكام القرآن(٧/٥).

ببر الأرحام: الإحسان إليهم بأنواع البر من الصلة، والبر بهم أمر واجب شرعاً عند جمهور الفقهاء، وقد حكى الإمام القرطبي الاتفاق على أن صـــلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة[1].وتكون صـــلة الرحم بأعمال كثيرة، منها: زيارتهم، وتفقد احوالهم، والســؤال عنهم، والنفقة على فقيرهم حســب الطاقة، ورحمة صـــغيرهم، وتوقير كبيرهم، وعيادة مريضـــهم، وإجابة دعوتهم، ومشـــاركتهم في الأفراح، ومواســـاتهم في الأحزان والمصـــائب، والدعاء لهم، وإظهار محبتهم، وسلامة الصدر نحوهم[2].وقد فصّل الإمام البخاري رحمه الله تعالى في هذه القيمة العظيمة، ووضـــع لها أكثر من (١٣) باباً كلها في بر الأرحام، بيّن فيها وجوب صلة الرحم، ومعنى الصلة المقصودة شرعاً، وأن الواصل ليس بالمكافئ، وفضلها، ومن هو الأولى بالصلة منهم، وجزاء قاطع الرحم، وعقوبته في الدنيا والآخرة، بل أوضـــح بالأحاديث والآثار حكم صـــلة المشرك من الأرحام وصلته بالهدايا.

٢-الوفاء

قال الرّاغب: "الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه، وقال أيضا: الوفاء صـــدق اللّســـان والفعل معا"[3].والوفاء له أنواع كثيرة، ما يهمنا هو ما يتعلق بالقيم الأسرية، وهو هنا بمعنى حسن الصحبة مع الأهل، وعدم نسيان الفضل

(١)المرجع السابق (٧/٥).

(٢)انظر: د. مفرح القوسي، حقوق الإنسان في مجال الأسرة ص (١١٧-١١٨).

(٣)المفردات(٥٢٨).

بينهم[1]، و هو قيمة أخلاقية وإنسانية نادرة، لا يتخلى عنها إلا من تجرد من إنسانيته، وقد عظمت منزلته حتى في الجاهلية، وقد قالوا: "أعز من الوفاء"[2]. ويعتبر الوفاء من المعروف الذي يجب أن يدوم ولا ينقطع؛ وهو خلق كريم، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في تعامله مع زوجاته رضي الله عنهن؛ ولذا كان من فقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى أنه أورد قيمة الوفاء تحت باب " قول المعروف"، وذلك في حديث أنس رضي الله عنه قالَ : كَانَ النَّبِيﷺإِذَا أُتِيَ بِالشَّيْءِ يَقُولُ: "اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ. اذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ"[3].

– ومن صور الوفاء، ما يجب على المرء من الوفاء مع أصدقاء والديه في حياتهما وبعد وفاتهما، والمؤمن الصادق الوفي يوطد دوما أواصر المودة والصلة والصداقة بأهل ودهما، ويبقى على حبه لهم وإجلاله إياهم بعد أن يلقى والداه وجه ربهما، فلا ينسى ذلك الود القديم، ولا يغفل عن تلك الوشيجة الإنسانية النبيلة التي أحكم نسجها والداه الحبيبان.

---

(١)انظر: الجيلاني، فضل الله الصمد(١/٢٢٦).

(٢)نضرة النعيم(٨/٣٦٤٠).

(٣)أخرجه الطبراني (٢٣/ رقم ٢٠)، والحاكم (٤/١٧٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث من رواية عائشة في صحيح البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٨).

وبمثل هذه المشاعر الإنسانية الرفيعة، وذلك الود النبيل الخالص تجمل الحياة، وهذا كله منوط بوجود المسلم الصادق في هذه الحياة(١)، وعقد البخاري رحمه الله تعالى في هذه الصورة باب: "بر الوالدين بعد موتهما"، وساق تحته حديث أُسَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، خِصَالٌ أَرْبَعٌ: الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا"(٢)، وأعقبه بباب: "بر من كان يصله أبوه"، وأورد فيه حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما " مر أعرابى في سفر فكان أبو الأعرابي صديقاً لعمر رضي الله عنه، فقال الأعرابي ألست بن فلان قال بلى فأمر له بن عمر بحمار كان يستعقب ونزع عمامته عن رأسه فأعطاه، فقال بعض من معه أما يكفيه درهمان، فقال: قال النبي ﷺ: "احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك"(٣).ثم ختم بباب: "لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ نورك" عن سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ الزُّرَقِيُّ، أَنَّ أَبَاهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ

(١)انظر: د. محمد الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ص (٦٤) بتصرف يسير.

(٢)أخرجه أحمد (٤٩٧/٣)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والحاكم (١٥٤/٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣)أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٢).

مَعَ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، فَمَرَّ بِنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَـــلاَمٍ مُتَّكِئًا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، فَنَفَذَ عَنِ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا شِئْتَ عَمْرَو بْنَ عُثْمَانَ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺبِالْحَقِّ، إِنَّهُ لَفِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَرَّتَيْنِ: لاَ تَقْطَعْ مَنْ كَانَ يَصِـــلُ أَبَاكَ فَيُطْفَأَ بِذَلِكَ نُورُكَ"[1].قال في فتح القدير: "والمراد احفظ محب أبيك، أو صـــديق أبيك بالإحســـان، والمحبة ســـيما بعد موته، ولا تهجره؛ فيذهب الله نور إيمانك، وهذا وعيد مهول، وتقريع يذهب عقول الفحول عن قطع ود الأصول"[2].

– وأما الصـــورة الثالثة للوفاء التي رصـــدها الإمام البخاري رحمه الله في كتابه؛ الوفاء مع الأبناء الأيتام. وهي مسألة فضل تتبرع بها الوالدة بأن تقضي عمرها صـــابرة من أجل تربية أولادها بعد وفاة والدهم ولا تتزوج بعده أحداً، وقد عقد لهذه المسألة باب " فضل المرأة إذا تصبرت على ولدها ولم تزوج"، وساق تحته حديث عوف بن مالك رضـــي الله عنه عن النبي ﷺأنه قال: "أنا وامرأة سفعاء الخدين امرأة آمت من زوجها فصبرت على ولدها كهاتين في الجنة"[3].و

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٣٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٩٨)، وذكره الألباني في ضعيف الأدب المفرد (٧).

(٢)(٢/٢٥٤).

(٣)أخرجـه أحمـد (٢٤٠٠٦)، وأبو داود في الأدب (٥١٤٩)، وســـكـت عنـه أبوداود، وماسـكت عنه فهو صـحيح كما في رسـالته إلى أهل مكة المعروفة، وذكره الألباني في ضعيف الأدب (٢٨).

المراد بهذا الحديث كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "يَعْنِي أَن تِلْكَ الْمَرْأَة حبست نَفسهَا على أَوْلَادهَا تربيهم، وَتركت التزين والتصنع والتعرض للأزواج"(١).

٣- حسن العِشرة:

و هي من أهم القيم التي تحقق قيمة الإحسان وأولاها، وحسن العشرة غالباً تتعلق بين الزوجين، ولا تقوم الحياة الزوجية إلا بين زوجين جعلا تقوى الله حاضرة في نفوسهما، وقتها يمسك الزوج زوجته بالمعروف، وحسن العشرة، وتحل المشكلات التي تعترض حياتهما في ضوء هذه الفضيلة العظيمة؛ فتكون أسرة ملؤها الحب والحيوية والنجاح(٢).

ومعنى المعاشرة بالمعروف: إعطائهن حقوقهن الزوجية، بالإحسان إليهن، والتلطف معهن، ومداعبتهن، والصبر على عوجهن، والإنفاق عليهن حسب القدرة والطاقة، وحسب العرف السائر في المجتمع، وتكون هذه المعاشرة الحسنة أيضاً بعدم إيذائهن ومكارهتهن حتى يطلبن الطلاق بأنفسهن، مقابل أن يتنازلن عن حقوقهن(٣).وكانت طريقة الإمام البخاري رحمه الله مع هذه القيمة مختلفة، حيث فرّق أحاديث حسن العشرة في أماكن متعددة من كتابه، ولكن

(١)كشف المشكل من حديث الصحيحين(٢١/٣).

(٢) انظر:الدكتور، شوكت طلافحة، الأخلاق في آيات الأحكام ص(٢٠٨).

(٣) انظر: الدكتور عبدالرحمن حسن حبنكة (٦٦/٢).

ما يجب أن نختاره هنا ما يتعلق بحسن العشرة مع الزوجة في هذه الصورة المحددة، وقد كانت هذه ظاهرة في بابين في كتابه، باب " قول المعروف"، وباب " حسن الخلق"، وأورد فيها الأحاديث العامة في حسن الخلق، وحديث وفاء النبي ﷺمع صديقات خديجة رضي الله عنها، ومر التعليق على أكثرها فيما مضى، ولكن المسألة التي خصها شراح الحديث في هذا الباب، مسألة أن حسن الخلق إذا كان مرغباً فيه ومطلوب مع كل أحد، فأولى الناس به هم أهل البيت؛ ولذا يرى العلماء بأن حسن الخلق هو حسن العشرة والصحبة مع الناس، فالأهل هم الأحق بالبشر وحسن الخلق، والإحسان، وجلب النقع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس(١).

– ومن صور حسن العشرة، الإحسان للبنات والأخوات على وجه الخصوص؛ وفيه تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالحهن. ومن جميل تصرف البخاري رحمه الله تعالى أنه قد قدم أبواب العناية بالبنات على أبواب البر بالولد، وخصص لها أبواب متعددة، منها باب " من عال جاريتين أو واحدة"، ثم باب" من عال ثلاث بنات"، ثم باب " فضل من عال ابنته المردودة"، وختم بباب " من كره أن يتمنى موت البنات". والأحاديث التي ساقها البخاري رحمه الله تعالى تحت هذه الأبواب كثيرة، وسنأخذ مثالاً يبيّن فضل الاهتمام بالبنات والإحسان إليهن، وهو قولهﷺ: "مَا

(١)انظر: الشوكاني، نيل الأوطار للشوكاني (٦/٢٤٥-٢٤٦).

مِنْ مُسْـلِمٍ تُدْرِكُهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِـنُ صُـحْبَتَهُمَا، إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ"[1]، ويكون الإحسان إليهن بالنفقة وحسن التربية والرحمة بهن والصبر عليهن. وقريب من صورة الإحسان إلى البنات صورة الإحسان إلى اليتيم في داخل الأسرة لما فيهما من الضعف والحاجة؛ ولذا خصّه الإمام البخاري بباب مستقل، بعنوان " خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه"، وساق تحته حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: "خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ، أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ" يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ[2].

– وثالث صور حسن العشرة، الإحسان إلى الجيران، ولتأكيد هذه المكانة الرفيعة للجار في الإسلام، أن الإمام البخاري بدأ ببر الوالدين، ثم صلة الرحم، ثم الإحسان إلى البنات والأولاد، ثم الوصاية بالجار؛ ولا شك بأن هذا التصرف من الإمام البخاري إظهار وتجلية لهذه المنزلة العظيمة للجار. و قد أفرد البخاري لقيمة الإحسان إلى الجار (١٦)باباً، بدأها بباب: "الوصاة بالجار" وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها المشهور عن النبي ﷺأنه قال: "مَا زَالَ

(١)أخرجه أحمد (٢١٠٤)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٠)، والحاكم (١٧٨/٤) وصححه، وكذا صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٢)أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٦٧٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤٧٨٥)، وذكره الألباني في ضعيف الأدب المفرد إلا جملة أنا وكافل اليتيم رقم (٢٦).

جِبْرِيلُ يُوصِـــينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَـــيُوَرِّثُهُ"(١)، وحديث أبي شـــريح الخزاعي رضـــي الله عنه، عن النبي ﷺقال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَـيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْـمُتْ"(٢)، وقد أتت هذه الأبواب على كل القضـــايا التي تتعلق بالجار، من الإحســـان إليه، وكف الأذى عنه، إلى كيفية ترتيب الجيران في الإحسـان، بل أتت على مسـألة الإحسـان إلى الجار اليهودي. ويشـــرح الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المراد بالجار، فيقول: "وَاسْـمُ الْجَارِ يَشْـمَلُ الْمُسْـلِمَ وَالْكَافِرَ وَالْعَابِدَ وَالْفَاسِـقَ وَالصَّـدِيقَ وَالْعَدُوَّ وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ وَالنَّافِعَ وَالضَّـــارَّ وَالْقَرِيبَ وَالْأَجْنَبِيَّ وَالْأَقْرَبَ دَارًا وَالْأَبْعَدَ، وَلَـهُ مَرَاتِبُ أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ، فَأَعْلَى مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْأُوَلُ كُلُّهَا، ثُمَّ أَكْثَرُهَا وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْوَاحِدِ، وَعَكْسُـهُ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّـفَاتُ الْأُخْرَى، فَيُعْطَى كُلٌّ حَقَّهُ بِحَسَبِ حَالِهِ، وَقَدْ تَتَعَارَضُ صِفَتَانِ فَتُرَجِّحُ أَوْ تُسَاوِي.."(٣).كما أن الحافظ يبين وجوه الإحســـان إلى الجار، بقوله: "حِفْظُ الْجَارِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَافِظُونَ عَلَيْهِ وَيَحْصُلُ امْتِثَالُ الْوَصِيَّةِ بِهِ بِإِيصَالِ ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كَالْهَدِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ وَتَفَقُّدِ حَالِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَكَفِّ أَسْـــبَابِ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ

(١)أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٥).

(٢)أخرجه مسلم في الإيمان (٧٧).

(٣)فتح الباري (٤٤٢/١٠).

حِسِّـيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً وَقَدْ نَفَى صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ الْإِيمَانَ عَمَّنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَلِيهِ وَهِيَ مُبَالَغَةٌ تُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ حَقِّ الْجَارِ وَأَنَّ إِضْرَارَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ قَالَ وَيَفْتَرِقُ الْحَالُ فِي ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْجَارِ الصَّالِحِ وَغَيْرِ الصَّـالِحِ وَالَّذِي يَشْـمَلُ الْجَمِيعَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لَهُ وَمَوْعِظَتُهُ بِالْحُسْـنَى وَالدُّعَاءُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ وَتَرْكُ الْإِضْـرَارِ لَهُ إِلَّا فِي الْمَوْضِـعِ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ الْإِضْـرَارُ لَهُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالَّذِي يَخُصُّ الصَّـالِحَ هُوَ جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ وَغَيْرُ الصَّـالِحِ كَفُّهُ عَنِ الَّذِي يَرْتَكِبُهُ بِالْحُسْـنَى عَلَى حَسَـبِ مَرَاتِبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَعِظُ الْكَافِرَ بِعَرْضِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ وَيُبَيِّنُ مَحَاسِنَهُ وَالتَّرْغِيبَ فِيهِ بِرِفْقٍ وَيَعِظُ الْفَاسِقَ بِمَا يُنَاسِـبُهُ بِالرِّفْقِ أَيْضًـا وَيَسْـتُرُ عَلَيْهِ زَلَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ وَيَنْهَاهُ بِرِفْقٍ فَإِنْ أَفَادَ فَبِهِ وَإِلَّا فَيَهْجُرُهُ قَاصِدًا تَأْدِيبَهُ عَلَى ذَلِكَ مَعَ إِعْلَامِهِ بِالسَّبَبِ لِيَكُفَّ"[1].

٤- الاحترام:

جاء في تفسـير التحرير والتنوير[2]:أن الحرمات جمع حرمة بضـمتين، وذكر أن معناها (ما يجب احترامه)، وأن الاحترام هو: اعتبار الشـيء ذا حرم وذلك كناية عن عدم الدخول فيه أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شـأنه، ومن معانيه الظاهرة التوقير والمهابة. وقد خصّ الإمام البخاري رحمه الله تعالى هذه القيمة بأبواب كثيرة، ونعرض لمسألتين أو صورتين توضح قيمة الاحترام والتوقير:

---

(١)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢)(١٧/ ٢٥٢).

– احترام الوالدين، وقد مضى معنا بر الوالدين، ولكن البخاري رحمه الله يؤكد على قيمة الاحترام لأهميتها وخطرها، ولأن البعض قد يخطئ في التعامل مع والديه دون أن يشعر؛ فيأتي بما يخدش الاحترام، وينزل والديه منزلة لا تليق بهما. ومما يخدش قيمة الاحترام، أن ينادي الرجل أباه باسمه، أو يجلس قبله، أو يتقدمه في المشي، وذكر البخاري هذه المناسبة بابين، باب: "لا يسمي الرجل أباه، ولا يجلس قبله، ولا يمشي أمامه"، وباب: "هل يكني الرجل أباه"، وتأمل في فقه الإمام البخاري وتفصيله في قيمة الاحترام، ففي الباب الأول جزم بالنهي، وفي الباب الثاني بدأ بالاستفهام! بمعنى أن نداء الوالد بكنيته لا حرج فيها، كما فعل سالم مع أبيه ابن عمر رضي الله عنهما، وكما فعل ابن عمر نفسه مع أبيه أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأورد تحتهما أثر أبي هريرة رضي الله عنه "أنه أبصر رجلين فقال: لأحدهما ما هذا منك؟ فقال أبي فقال: لا تسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله"[1]، ثم أثر شهر بن حوشب قال: خرجنا مع ابن عمر، فقال له سالم: (الصلاة يا أبا عبد الرحمن)[2]، وفي الباب نفسه ساق أثر ابن عمر رضي الله عنهما قال: لكن أبو

(١)أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٢).

(٢)لم أجد من خرجه سوى البخاري في هذا الكتاب، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد (٤٥).

حفص قضى[1].ومن صور الاحترام احترام الكبير، وقد خصص البخاري رحمه الله لهذه الصور أبواب متعددة، منها باب: "فضل الكبير"، وباب: "إجلال الكبير"، وباب: "يبدأ الكبير بالكلام والسؤال"، وباب: "إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم"، باب: "تسويد الأكابر". وإن كان الاحترام من الصغير للكبير هو المطلوب في كل وقت، إلا أن ما يهمنا هنا هو احترام الكبير داخل البيت، أو الأسرة الواحدة؛ ولذا سأورد الحديث الذي ينص على هذه المسألة أو العلاقة الأسرية، وأقربها في ذلك حديث حكيم بن قيس بن عاصم، أن أباه أوصى عند موته بنيه فَقَالَ: "اتَّقُوا اللَّهَ وَسَوِّدُوا أَكْبَرُكُمْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا سَوَّدُوا أَكْبَرَهُمْ خَلَفُوا أَبَاهُمْ، وَإِذَا سَوَّدُوا أَصْغَرَهُمْ أَزْرَى بِهِمْ ذَلِكَ فِي أَكْفَائِهِمْ. وَعَلَيْكُمْ بِالْمَالِ وَاصْطِنَاعِهِ، فَإِنَّهُ مَنْبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ، وَيُسْتَغْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ. وَإِيَّاكُمْ وَمَسْأَلَةَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا مِنْ آخِرِ كَسْبِ الرَّجُلِ. وَإِذَا مُتُّ فَلَا تَنُوحُوا، فَإِنَّهُ لَمْ يُنَحْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺوَإِذَا مُتُّ فَادْفِنُونِي بِأَرْضٍ لَا يَشْعُرُ بِدَفْنِي بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ، فَإِنِّي كُنْتُ أُغَافِلُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ"[2].

(١)لم أجد من خرجه سوى البخاري في كتاب الأدب المفرد، وذكره الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦١/٥)، والطبراني(١٨/رقم٨٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(٢٧٧).

المطلب الرابع

الرحمة.

يجد بعض الباحثين صعوبة في التوصل إلى تعريف دقيق للرحمة؛ لأن شأن الرحمة كشأن معظم العواطف والانفعالات، إنما نقترب منها بمعرفة ظواهرها(١)؛ ولذا قال الإمام النسفي في "مكارم الأخلاق"(٢): "الرحمة محثوث عليها، وهي من ثمرات رقة القلب..". وللرحمة مستويات ومراتب، وعندما نتأمل كتاب " الأدب المفرد" نجد بوضوح صور متعددة تحضر فيها الرحمة، وتظهر فيها معانيها، من الرقة والعطف والحب، وهي قيم أسريّة فرعية تدخل في دائرة الرحمة، منها:

١- الرفق:

الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف(٣)، وهو من ثمرات الرحمة أو من ظواهر الرحمة، وبه تكون حياة الأسرة حياة محبة وتواصل في بيئة منسجمة ومتصالحة.

-ومن ذلك الرفق مع الزوجة والأهل، بل إن منهج حياة النبي ﷺقائم على الرفق، وكان هذه هديه الذي يعامل به زوجاته وأهل بيته، ويشهد لهذا حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ

---

(١) انظر: د.عبدالرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٥/٢).

(٢)ص (٨٣).

(٣)فتح الباري (٤٦٤/١٠).

أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِـــهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا"، وقد أورد هذا الحديث الإمام البخاري تحت باب: "حسن الخلق" كأنه يشير بأن الرفق أحد أهم ركائز حسن الخلق، ولذا جاء في أول أبواب حسن الخلق.

وكما رأى زوجاته وأصحابه هذا الهدي منه، نهاهم عن ضده وهو العنف، وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى بعد أبواب حســـن الخلق الأبواب التي فيها ما يشـــير إلى ما يناقض حســـن الخلق، ومن ذلك باب: "ليس المؤمن باللعان"، وساق تحته أحاديث كثيرة من أهمها حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ يَهُودًا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺفَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِـــبُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَـــةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ»، قَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْـمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَ لَمْ تَسْـمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْـتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْـتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ"، بل من عجيب صـنيع البخاري رحمه الله تعالى في التأكيد على قيمة الرفق أنه قد فصّـــل فيها، وخصـــها بأبواب متعددة بعد ذلك، منها باب "الرفق"، وباب " الرفق في المعيشـة"، ثم باب: "ما يعطى العبد على الرفق"، وختمها بباب: "التسـكين"، كلها في الرفق والتيسير والملاطفة وحسن المداراة. وكان من حسن خلقه ﷺورفقه بزوجاته أنه قد سرّب صاحبات عائشة رضي الله عنها ليلعبن معها، وقد ساق فيه البخاري رحمه الله تعالى في باب " مسح رأس الصبي" حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صـــواحب يلعبن معي، فكان رســـول الله ﷺإذا دخل ينقمعن منه، فيســـربهن إليّ، فليعبن

معي"[1].قال في طرح التثريب[2]: "فِيهِ حُسْنُ خُلُقِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَلَطِيفُ مُعَاشَرَتِهِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَمَنْ يَزُورُهَا مِنْ صَوَاحِبِهَا بِتَمْكِينِهَا مِنْ ذَلِكَ وَجَمْعِ مَنْ يُسَاعِدُهَا عَلَى ذَلِكَ عَلَيْهَا وَمَا كَانَ هَذَا إلَّا فِي زَمَانِ الصِّغَرِ قَبْلَ الْبُلُوغِ". وكان من رفقه ﷺأنه قد نهى عن الغضب على الأهل فيما يعذر فيه المرء، ومن ذلك أن البخاري رحمه الله تعالى أورد في الأبواب التي تتعلق بحفظ البيوت، باب: "الشيطان يجيء بالعود والشيء يطرحه على الفراش"، وذكر فيه حديث: "أبي أمامة رضي الله عنه يقول: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي إِلَى فِرَاشِ أَحَدِكُمْ بَعْدَمَا يَفْرِشُهُ أَهْلُهُ وَيُهَيِّئُونَهُ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ الْعُودَ أَوِ الْحَجَرَ أَوِ الشَّيْءَ، لِيُغْضِبَهُ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ فَلَا يَغْضَبْ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"[3]، وقد سبق معنا حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه وأصحابه في باب: "الرجل راعٍ في أهله"، لما أقاموا عند النبي ﷺفي المدينة عشرين ليلة، واشتهوا العودة إلى أهليهم، فسألهم الرسول ﷺعن من تركوا خلفهم من الأهل، قال: فأخبرناه–وكان رفيقاً رحيماً– فقال: ارجعوا إلى أهليكم.." تأمل دقة نظر الصحابي ﷺوأنه وجد من النبي ﷺرفقاً ورحمة بسؤاله عن أهليهم وأمره لهم بالعودة إليهم.

---

(١)أخرجه البخاري في الأدب(٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠).

(٢)(٥٨/٧).

(٣)لم أجد من خرجه سوى البخاري في الأدب المفرد، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(٩٠٧).

– الرفق مع الصبيان، والرأفة بهم، وإدخال السرور عليهم من الرحمة، وقد أورد الإمام البخاري أحاديث عديدة تنقل صور دقيقة عن الرفق مع الصبيان داخل البيوت أو الأسرة، منها على سبيل المثال لا الحصر حديث لأبي هريرة رضي الله كله محبة وتواضع ورفق من النبي ﷺمع الصبيان، يقول أبو هريرة: "سمع أذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله ﷺأخذ بيديه جميعا بكفي الحسن أو الحسين –رضي الله عنهما – وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺيقول: (ارقه) قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ثمﷺ قال رسول اللهﷺ: (افتح فاك) ثم قبله ثم قال: (اللهم أحبه) فإني أحبه"(١).

وقصص الحسن والحسين رضي الله عنهما كثيرة مع النبي ﷺ، وكل هذا الرفق جاء كما سبق معنا ثمرة من ثمرات الرحمة؛ وفي باب آخر يورد البخاري رحمه الله تعالى ما يدل على عظم رحمة النبي ﷺ، ففي باب " رحمة العيال" أورد حديثاً يرويه صاحبه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺأَرْحَمَ النَّاسِ بِالْعِيَالِ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مُسْتَرْضَعٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، وَكُنَّا نَأْتِيهِ، وَقَدْ دَخَنَ الْبَيْتُ بِإِذْخِرٍ، فَيُقَبِّلُهُ وَيَشُمُّهُ"(٢).

– الرفق مع الخدم، وإعانتهم، والتواضع لهم، وهذا من كمال الدين الإسلامي وجماله، حيث أوجب على صاحب العمل أن يتقي الله فيمن تحت

(١)أخرجه الطبراني (٢٦٥٣)، وابن أبي شيبة (٣٢١٩٣)، وذكره الألباني في ضعيف الأدب (٤٠)، وفي الباب عن البراء بن عازب في البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٤٩)!

(٢)أخرجه مسلم في الفضائل (٢٣١٦).

يده من الخدم، ولا يكلفهم بما لا يطيقون، ويتعاون معهم، ويعينهم في أمره، ولا يضـــربهم، ولا يؤذيهم بالقول و الفعل، وعليه مراعاة مشـــاعرهم ورحمتهم، وقد خصّ الإمام البخاري هذه القيمة بأبواب متعددة، تتضمن إرشادات ومعاني لطيفة في التعامل والرفق بالخدم، ورصـد لها في كتابه ما يزيد عن (٢٠) باباً، ومن الأمثلة لها: باب: "العفو عن الخادم"، وســاق فيه أشــهر حديث في هذه القيمة، وهو حديث أنس رضـــي الله عنه قَالَ: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًـــا غُلَامٌ كَيِّسٌ لَبِيبٌ، فَلْيَخْدُمْكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّـــفَرِ وَالْحَضَرِ، مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا قَالَ لِي لِشَـيْءٍ لَمْ أَصْـنَعْهُ: أَلَا صَـنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟"[1].فانظر إلى هذه الأخلاق العظيمة والرحمة المتناهية من النبي ﷺ، والرفق بخادمه، فكان لطيفاً لا يعترض عليه، ولا يغضـــب منه، ولا يزجره، ولا يكثر عليه اللوم والتقريع! ثم أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى بعد هذ الباب، باب: "إذا سرق العبد"، وباب "الخادم يذنب"، وباب: "من ختم على خادمه مخافة سوء الظن"، ويُقصـــد به أن يختموا على الأطعمة، ويكيلوها، ويعدوها، حتى لا يطمع الخدم في السـرقة، وحتى يصـون صـاحب المنزل نفسـه من سـوء الظن في خادمه. وفي ذات المسألة وضع بعده باب: "من عد على خادمه مخافة الظن"، ثم باب: "أدب الخادم"، وباب "لاتقل قبح الله وجهه "، وباب: "ليجتنب الوجه

(١)أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٦٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٩).

في الضرب"، إلى باب: "اكسوهم مما تلبسون"، وبعده باب: "هل يعين عبده"، وباب: "لا يكلف عبده من العمل ما لا يطيق"، وأورد فيهحديث عظيم، قَالَ مَعْرُورٌ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَقُلْنَا: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا وَأَعْطَيْتَ هَذَا غَيْرَهُ، كَانَتْ حُلَّةٌ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ"[1].وختم بأربعة أبواب في النفقة على الخادم، والجلوس معه إذا أكل، وهي باب: "نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة"، وباب: "إذا كره أن يأكل مع عبده"، باب: " يُطعم العبد مما يأكل"، وباب: "هل يُجلس خادمه معه إذا أكل"، وساق فيه حديث أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺأنه قال: "إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه، فإن لم يقبل فليناوله منه"[2]، وكان هذا هديه كله رفق وتواضع، ومن يجلس مع هؤلاء المساكين على مائدة واحدة فقد نهج نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخرج من زمرة المتكبرين.

٢-التقبيل والتكنية والمزاح:

وهذه قيم أخلاقية إذا شاعت في البيوت، فإنها تكسب الأسرة الحب والود بين أفرادها، وبمثلها يقترب الزوج من زوجته، والوالد من أولاده، وكلها تجيء كثمرة من ثمار الرحمة، يقول ابن بطال رحمه الله تعالى: "رحمة الولد الصغير،

(١)أخرجه البخاري في العتق (٢٥٤٥)، ومسلم في الأيمان (١٦٦١).

(٢)أخرجه البخاري في العتق (٢٥٥٧)، ومسلم في الأيمان (١٦٦٣).

ومعانقته، وتقبيله، والرفق به، من الأعمال التي يرتضيها الله ويجازي عليها ألا ترى إلى قول النبي ﷺ للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي ﷺأن عنده عشرة من الولد ما قبل منهم أحداً: "من لا يرحم لا يُرحم"[1].وذكر البخاري رحمه الله تعالى قصة الأقرع بن حابس تحت باب: "من لا يرحم لا يُرحم"، وأورده بلفظ مقارب تحت باب: "قبلة الصبيان"[2] فانظر وتأمل لأثر الرحمة والرقة في اللطف من الصغار وتقبيلهم! وكان من رحمة النبي ﷺأنه كان يحمل الحسن رضي الله عنه على عاتقه، وهو يقول: "اللهم إني أحبه فأحبه"[3]، وساق هذا الحديث قريب من أبواب الرحمة وقبلة الصبيان، وعنوانه باب: "حمل الصبي على العاتق". وكان يقبل النبي ﷺابنته فاطمة رضي الله عنها، وساق في ذلك البخاري رحمه الله تعالى حديث عائشة أم لمؤمنين رضي الله عنها قالت: قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ حَدِيثًا وَكَلَامًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا، فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ، فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا"[4].

---

(١)شرح بن بطال (٩/٢١١).

(٢)أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسل في الفضائل (٢٣١٨).

(٣)أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢)، كلاهما في فضائل الصحابة.

(٤)أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٧١)، وأبو داوود في الأدب (٥٢٧١).

-أما التكنية، وهو أن ينادي الرجل زوجته بدل اسمها بكنية، أو أن يكني أحد بناته أو أبنائه. وهذا فيه نوع من التحبب والتودد والملاطفة، وقد أكنى النبي ﷺكثيراً من أصحابه رضي الله عنهم، وأكنى الصغار منهم، بل كنّى جميع زوجاته رضي الله عنهن، ففي باب: " كنية النساء" ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَنَّيْتَ نِسَاءَكَ، فَاكْنِنِي، فَقَالَ: «تَكَنِّي بِابْنِ أُخْتِكِ عَبْدِ اللَّهِ»[1]، فكانت رضي الله عنها تكنى بأم عبد الله، وعبد الله هو ابن الزبير رضي الله عنه.

-ومن رحمته ﷺالمزاح مع الأهل و الأولاد، و هو مما يدخل السرور في البيت ويطرد الكآبة، و يذهب الوحشة من النفوس، وقد وضع البخاري رحمه الله تعالى باب " المزاح مع الصبي"، وساق فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أن النبي ﷺأخذ بيد الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، ثم وضع قدميه على قدميه، ثم قال: ترقَّ"[2].

وأخذ أصحابه هديه ﷺواتبعوا طريقه، ففي باب: "حسن الخلق إذا فقهوا"، وأورد تحته أثر ثابت بن عبيد قال: "ما رأيت أحداً أجلَّ إذا جلس مع القوم، ولا

(١)أخرجه ابن أبي شيبة(٢٦٢٩٠)، وأحمد (٢٤٦١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣).

(٢) سبق تخريجه ص (٦٨).

أفكه[١] في بيته من زيد بن ثابت رضي الله عنه"[٢]، تأمل في حال الناس اليوم فقد خالفوا هذا الهدي اللطيف، فتراهم يتعاملون خارج المنزل بأحسن الأخلاق وألطفها، وإذا دخلوا بيوتهم نزعوا إلى سلوك الجفاء والقسوة إلا من رحم الله.

ومازح النبي ﷺالنساء، وكان فيهن زوجاته رضي الله عنهن، وقد عقد البخاري باباً بعنوان" المزاح"، وأورد فيه حديث أنس رضي الله عنه، أن البراء بن مالك رضي الله عنه كان يحدوا بالرجال، وكان أنجشه رضي الله عنه يحدو بالنساء، وكان حسن الصوت، فقال النبيﷺ: "يا أنجشة! رويدك سوقك بالقوارير"[٣]، وفي رواية قال أبو قلابة: فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّﷺ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ!

٣-عمل الرجل في منزله:

وهي قيمة أخلاقية، تدل على الرحمة والرقة، وفيها روح التعاون مع الزوجة، فمن الجميل أن يتشارك أفراد الأسرة في بعض الأعمال المنزلية، وهذا سلوك قد يفهم البعض منه أنه ضعف من الزوج، وفي الحقيقة هو سلوك حضاري، وفيه رفعة للعامل في منزله مع زوجته وأبنائه؛ ولذا عقد له البخاري

(١)الفاكه: المازح، والاسم الفكاهة، النهاية في غريب الحديث (٤٦٦/٣).

(٢)أخرجه ابي أبي شيبة (٢٥٣٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٩).

(٣)أخرجه البخاري في الأدب (٦١٤٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٣).

باب" ما يعمل الرجل في بيته"، وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها بروايات متعددة، تجيب فيها عن سؤال: "ما كان ﷺيصنع في أهله أو في بيته؟"، فأجابت في رواية الأسود بجواب عام " كان يكون في مهنة أهله- يعني خدمتهم[1]!

قال الأسود: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ يَصْنَعُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِهِ؟ فَقَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ، ثم فسرت في روايات أخرى هذه المهنة: "يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط، ويحلب شاته[2].

وفي باب: "الخروج إلى المبقلة[3] وحمل الشيء على عاتقه إلى أهله بالزبيل[4]"أورد فيه قصة طويلة بين حذيفة وسلمان رضي الله عنهم، وفيها أن الصحابة رضي الله عنهم لا يرون العمل في المنزل، وحمل ما يحتاجون إليه معيباً أو منقصة كما يظن بعض أهل الكبر و البطر، والرواية طويلة كما

(١)أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٤٢)، وأخرجه ابن حبان (٥٦٧٥)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥٧٦٠).

(٣) المبقلة: موضع البقل، وقيل: كل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل. مختار الصحاح (ص: ٣٨).

(٤) الزَّبِيلُ: الجِراب، وَهُوَ الزِّنْبِيل، فَإِذا جَمعوا قَالُوا زَنَابيل. وَقِيلَ الوِعاء يُحْمل فِيهِ. انظر:تهذيب اللغة (١٣/ ١٤٨)، ولسان العرب (١١/ ٣٠٠).

أسلفت، وسأورد محل الشاهد منها: "عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: عَرَضَ أَبِي عَلَى سَلْمَانَ أُخْتَهُ، فَأَبَى وَتَزَوَّجَ مَوْلَاةً لَهُ، يُقَالُ لَهَا: بُقَيْرَةُ، فَبَلَغَ أَبَا قُرَّةَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ حُذَيْفَةَ وَسَلْمَانَ شَيْءٌ، فَأَتَاهُ يَطْلُبُهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي مَبْقَلَةٍ لَهُ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، فَلَقِيَهُ مَعَهُ زَبِيلٌ فِيهِ بَقْلٌ، قَدْ أَدْخَلَ عَصَاهُ فِي عُرْوَةِ الزَّبِيلِ – وَهُوَ عَلَى عَاتِقِهِ – فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ؟ قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[الإسراء: ١١].."[1].

(١)أخرجه أحمد (٢٣٧٢١)، والطبراني (٦١٥٦)، ومن رواية أبي هريرة في صحيح البخاري (٦٣٦١) ومسلم (٢٦٠١).

الخاتمة

وفي ختام البحث أحمد الله جل في علاه أن يسر لي إتمامه، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ييسر قبوله والنفع به، و فيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات:

أولاً: النتائج:

١- أن السنة النبوية مصدر ثري للقيم الأسرية، بل إنها لا ترشد إلى القيم الكلية فحسب، بل توضح القيم الفرعية والتفاصيل الصغيرة في كل قيمة.

٢- أن كتاب الأدب المفرد موسوعة في القيم والأخلاق بكل أنواعها، بل كل نوع تحته مصفوفة من القيم المتعددة، و أكثرها حضوراً هي القيم الأسرية، حيث خصت بعدد كبير من الأحاديث والآثار.

٣- أن علماء الإسلام قد ساهموا في الكتابة الأخلاقية من وقت مبكر، وعلماء الحديث كان لهم قصب السبق في ذلك، والجهد العظيم الذي لا ينكر.

٤- أن القيم الأسرية الكلية هي قيم تتعلق بجميع أفراد الأسرة، ولا تخص أحدهم دون الآخر، على أن الحظ الأكبر كان من نصيب رب الأسرة، والوالدين، فعليهم مسؤولية خاصة، ولذلك كانت الأحاديث التي تشرح هذا القيم تركز الضوء عليهما.

٥- أن الوصـول أو النص على القيم الكلية والفرعية، ووضـعه في مصـفوفة معينة هي مسألة اجتهادية، كل باحث قد يستخرج مصفوفة تخصه، لكن الأحاديث – حقيقة- قد غطت جميع أنواع القيم الأسرية، كليها وفرعيها.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة؛ فإن أهم التوصيات التي ينبغي الأخذ بها ما يلي:

١-ضرورة توجيه الباحثين إلى دراسة القيم من خلال السنة النبوية، حيث إنها هي المصـــدر الثاني من مصـــادر التشـــريع، كما أنها تزخر بكنوز من التفاصيل المهمة التي ترتبط بالقيم الأخلاقية.

٢-ضـــرورة العناية بكتاب الأدب المفرد، ففيه فقه عظيم لاســـتخراج القيم الإسلامية وإبرازها، وإبراز محاسن الإسلام و تشريعاته الرحيمة، كما أن الكتاب لم يخدم على الوجه المطلوب، حيث إن الشـــروح والتعاليق عليه شحيحة جداً، مما يوجب على طلبة الدراسات العليا أن يصمدوا لمثل هذه الكتب العلمية بالشرح والبحث واستخراج ما فيها من كنوز معرفية.

٣- نظراً لمكانة الإمام البخاري، و أهمية كتاب الأدب المفرد؛ فإني أقترح على أقســام الدعوة والثقافة الإســلامية التي تدرّس مادة القيم والأخلاق أن تجعل هذا الكتاب من أهم مراجع موادها، و كذلك أقترح أن يكون هو المنهج التطبيقي للمقرر أو أن يكون مادة لقراءة تحليلية في بعض أبوابه و الأحاديث الواردة فيه.

٤- التأكيد على تبني المراكز التي تهتم بالأسرة أو البرامج الأسرية دراسة كتاب الأدب المفرد، حيث إنه سيساهم مساهمة بالغة في حسن التصور للقضايا الأسرية، وحسن معالجة مشكلاتها.

٥- أقترح على أئمة المساجد و طلاب العلم أن يقرأوا هذا الكتاب في مساجدهم، حماية للمجتمع والأسرة؛ فالأسرة اليوم هي آخر معاقل الصمود أمام هذه العولمة التقنية المكتسحة للفضائل والمدمرة للقيم.

فهرس المصادر والمراجع

١- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقدار يالجن، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢- أثر الوالدين في تكوين الشخصية- دراسة موضوعية في سورية، أنطون رحمة، سوريا.
٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٤- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، ١٤٣٢هـ.
٥- الأخلاق بين الثبات والتغير، أ.عبد الرحمن الجهني، جامعة الملك عبد العزيز، جده، ١٤٣٧هـ.
٦- الأخلاق بين الفلسفة اليونانية وحكماء الإسلام، عبد المقصود عبد الغني، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣م.
٧- الأخلاق في آيات الأحكام، د. شوكت طلافحة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٢٠م.
٨- الأخلاق والرهانات الإنسانية، د.نورة بوحناش، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.
٩- الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، ضمن نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ صالح بن حميد، دار الوسيلة، ١٤١٨هـ، جده.
١٠- الأخلاق، أحمد أمين، دار العالم العربي، ٢٠١٦م.
١١- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: على عبد المقصود رمضان، مكتبة الآداب، بيروت، ١٤٣٢هـ.

١٢- الأدب المفرد، للإمام البخاري، تحقيق: على عبد المقصود رضوان، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٤٠هـ.
١٣- الأسرة والمجتمع، علي وافي، دار نهضة مصر، مصر، ٢٠١٦م.
١٤- أصول الأخلاق في ضوء القرآن الكريم، عبد الستار محمد نوير، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
١٥- آفاق القيمة، رالف بيري، ترجمة: عبد المحسن سلام، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٩٨٦م.
١٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ١٤١٩هـ.
١٧- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الشيخ بن سعدي، تحقيق: آل الدريني، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٨- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٩- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥م.
٢٠- تاريخ دمشق، لأبي القاسم بن عساكر، تحقيق: عمرو العمروي، در الفكر، ١٤١٥هـ.
٢١- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم الجوزية، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.
٢٢- تذكرة الحفاظ، للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٣- تعليم القيم فريضة غائبة، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٦٥-٦٦).
٢٤- تهذيب الآثار، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٥- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، أبو علي مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٢٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٧- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.
٢٨- الثقات، أبو حاتم ابن حبان، تحقيق: محمد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ١٣٩٣هـ.
٢٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
٣٠- جهود العلماء في بيان الشمائل النبوية، منصور يوسف، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، العدد (٧).
٣١- حقوق الإنسان في مجال الأسرة من منظور إسلامي، د. مفرح القوسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٨هـ.
٣٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
٣٣- حياتي، أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٤- دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية، محمد دراز، تحقيق: أحمد مصطفى، دار القلم، الكويت، ٢٠٠٩م.
٣٥- دستور الأخلاق في القرآن، محمد دراز، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ.

٣٦- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ.
٣٧- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
٣٨- ذم الملاهي، أبوبكر بن أبي الدنيا، تحقيق: عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٣٩- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٤٠- روح القيم وحرية المفاهيم، عبد الرزاق بلعقروز، المؤسسة العربية للفكروالإبداع، ٢٠١٧م.
٤١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
٤٢- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
٤٣- سنن أبي داوود، أبوداوود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٤٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ.
٤٥- السنن الكبرى للبيهقي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٤٦- سؤال العمل، طه عبد الرحمن، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، ١٤٣٣هـ.

٤٧- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٨- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأفعال، العز بن عبد السلام، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
٤٩- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الدكتور محمد الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الأردن، ١٤٢٣هـ.
٥٠- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح= الكاشف عن حقائق السنن، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: د. الهنداوي، مكتبة نزار الباز، مكة، ١٤١٦هـ.
٥١- شرح النووي على مسلم=المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، شرف الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
٥٢- شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، تحقيق: محمود بن الجميل-خالد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
٥٣- شرح صحيح البخاري، ابن بطال علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٥٤- شعب الإيمان، أبوبكر البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٥٥- صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان، أبو حاتم بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥٦- صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٥٧- صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨- ضعيف الأدب المفرد، الشيخ ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ١٤١٩هـ.
٥٩- طرح التثريب بشرح التقريب، زين الدين العراقي، تحقيق: أحمد أبو زرعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٠- عادات الإمام البخاري في صحيحه، عبد الحق الهاشمي المكي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، مكتب الشؤون الفنية، الكويت، ١٤٢٨هـ.
٦١- عبقرية البخاري، د.حماد القباج، مركز يقين، ١٤٤٠هـ.
٦٢- علم الاجتماع العائلي، مصطفى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٦٣- علم النفس الاجتماعي، د. حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.
٦٤- العيال، لأبي بكر ابن أبي الدينا، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.
٦٥- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الشيخ محمد بن أحمد السفاريني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٦٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة.
٦٧- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣١هـ.
٦٨- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٦٩- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، د. أحمد محمود صبحي، دار النهضة، مصر، ١٩٩٢م.
٧٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد المناوي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
٧١- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار العلم، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٧٢- القيم الأسرية أهميتها وواجب الإنسان نحوها في ضوء القرآن الكريم، نورا بنت قاسم، الشبكة العالمية.
٧٣- القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، خالد الصمدي، الإيسيسكو، الرباط، ٢٠١٧م.
٧٤- القيم بين الإسلام والغرب، د.مانع المانع، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٧٥- القيم ومسؤولية المواطنة، د. عبد الودود مكروم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٧٦- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض، الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٧٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق: علي البواب، دار الوطن، الرياض.
٧٨- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، د. أحمد الريسوني، دار السلام، مصر، ١٤٣١هـ
٧٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٨٠- مجلة إسلامية المعرفة، السنة ١٤، عدد ٥٤، ١٤٢٩هـ.

٨١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.
٨٢- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ.
٨٣- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ.
٨٤- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
٨٥- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، هـ.
٨٦- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٨٧- مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٨٨- مسند البزار= البحر الزخار، أبو بكر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.
٨٩- مشكاة المصابيح، أبو عبد الله التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
٩٠- مصنف ابن أبي شيبة = المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٩١- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ١٤٠٣هـ.
٩٢- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٩٣- معجم الطبراني لأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٩٤- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م.
٩٥- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت.
٩٦- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.
٩٧- مقاربات في المسألة الأخلاقية، مصطفى بن حمزة، دار الأمان، المغرب؟
٩٨- مقاصد الشريعة وعلاقتها بالقيم الأخلاقية، الخادمي؟
٩٩- مكارم الأخلاق، برهان الدين النسفي، تحقيق: محمد القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.
١٠٠- مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي، د. جمال نصار، دار الوفاء للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٠١- موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الأردن- السعودية.
١٠٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن حميد، دار الوسيلة، جده.

١٠٣- نظرية القيم التعليمية في الفكر الإسلامي، تسنيم نور الدين المهيدات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦م.
١٠٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي-محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٠٥- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ.
١٠٦- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة.
١٠٧- هل أرخ المسلمون لعلم أخلاق إسلامي؟، د. أبو اليزيد العجمي، حوليات دار العلوم، العدد(١١)، ١٩٨٣م.
١٠٨- الواضح في مناهج المحدثين، د. ياسر الشمالي، دار الحامد، الأردن، ١٤٢٧هـ.